ثقافات الشعوب

@ketab_n
28.10.2014

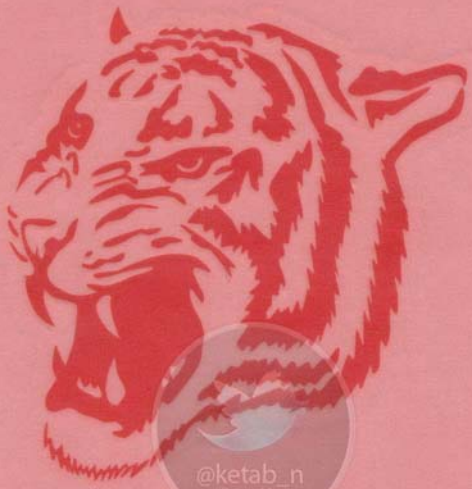

سرّ الحياة

حكايات شعبية من البنغال

جمع: لال بيهاري داي
ترجمة: عبد الوهاب المقالح

سرّ الحياة

حكايات شعبية من البنغال

جمع:
لال بيهاري داي

ترجمة:
عبد الوهاب المقالح

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

سرّ الحياة

حكايات شعبية من البنغال

Twitter: @ketab_n

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

سر الحياة: حكايات شعبية من البنغال

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR304. 5. D312 2009
Day, Lal Behari, 1826-1894.
[Folk Tales of Bengal]

سر الحياة: حكايات شعبية من البنغال/ جمع لال بيهاري داي؛ ترجمة عبد الوهاب المقالح. -
ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
176ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 7- 978-9948-01-345
ترجمة كتاب: Folk Tales of Bengal
1 - القصص الشعبية البنغلاديشية. 2 - الحكايات البنغلاديشية. أ- المقالح، عبد الوهاب.
ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التتان

كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
تمهيد	11
سر الحياة	16
فاكر تشاند	34
البراهماني الساخط	72
حكاية «الراكشاساس» أكلة اللحوم	84
حكاية «سُوت وباسنت»	118
عين «ساني» الشريرة	134
الولد الذي أرضعته سبع أمهات	145
حكاية الأمير «سوبور»	152
أصل الخشخاش	168

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية،تمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها - مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة - تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في أقاصي الغرب، أو

Twitter: @ketab_n

شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه - وإن بلغة أخرى - جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تقديم

«الباكشيراج»، أو ملك الطيور، كما ورد ذكره في مجموعة الحكايات هذه، هو نوع من الجياد الطائرة التي تنقل راكبها المسافات الشاسعة في لمح البصر. وعلى «باكشيراج» الحكاية الشعبية يطير بنا مشروع «كلمة» للترجمة، عبر هذه السلسة من الحكايات، إلى بلاد البنغال، في سياحة نادرة فريدة نطوف فيها في أصقاع تلك البلاد مطلعين على تاريخ أهلها وأساطيرهم وأفراحهم وأحزانهم وأشواقهم، ومعتقداتهم وطرق عيشهم. وفي طوافنا ذاك نوشك أن ننغمس في متع الحكايات حتى لنكاد ننسى أنفسنا. فإذا ما انتبهنا وجدنا لسان حالنا يردِّد: وهل الحياة إلا حكاية عذبةٌ آسرة تُروى؟ يا إلهي، كم توحِّد الحكايات البشر، وما أكثر ما تقرِّبهم من بعضهم بعض!

وكم أثار دهشتي وأنا أترجم هذه الحكايات بعد ترجمتي لمجموعة الحكايات التركية ما وجدته من تشابهٍ في بعض الحكايات أو في أجزاء منها، يصل هذا التشابه أحيانا حدّ التطابق. بل إن دهشتي قد بلغت ذروتها حين قرأت حكاية شعبية

Twitter: @ketab_n

يمنية بعنوان «البلبل الصدّاح والورد النفّاح والنهر السرّاح» بعد ترجمتي للحكاية البنغالية المعنونة في هذه المجموعة بـ «الولد الذي على جبينه القمر». فالحبكة وشخصيات الحكايتين وأحداثهما ونهايتهما توشك أن تكون واحدة. فما هي الحكاية، يا ترى؟

إنها لَحكاية!

عبد الوهاب المقالح

Twitter: @ketab_n

تمهيد

في كتابي «الحياة الرعوية في البنغال»، جعلت الولد الريفي «جوفيندا» يقضي ساعات كل مساء يصغي للحكايات التي ترويها عجوز تدعى «أم سامبهو»، وكانت أفضل راوية للحكايات في القرية. ولما قرأ الكابتن «آر. سي. تمبل»، هو وابن الاداري الهندي المتميز «سير ريتشارد تمبل»، لما قرأ تلك القطعة، كتب إليَّ يخبرني كم سيكون ممتعاً شيِّقاً لو أنني أعدُّ مجموعة من تلك الحكايات التي لم تدوَّن بعد والتي ترويها عجائز النساء في الهند للأطفال الصغار في الأماسي، ثم سألني إن كنت أستطيع القيام بمثل تلك المهمة. ولمّا لم أكن غريباً على حكايات «الأخوين جريم»[1]، ولا على «الحكايات الأسكندنافية» التي رويت على نحو بديع بواسطة «داسينت»[2]، كما لم أكن غريباً على «الحكايات الآيسلندية» لآرناسون التي ترجمها «باول» إلى الإنجليزية، ولا على «الحكايات الأسكتلندية» بواسطة

(1) الأخوان جريم: يعقوب جريم (1785–1868) وفيلهلم جريم (1786 –1859): أشهر من جمع الحكايات الشعبية الألمانية التي صار الكثير منها عالمياً فيما بعد (م).

(2) سير جورج ويب داسينت (1817– 1896): ترجم الكثير من الحكايات الشعبية الأسكندنافية إلى الإنجليزية (م).

Twitter: @ketab_n

«كامبل»[1] ولا على الحكايات الخرافية التي جُمعت بواسطة كتابٍ آخرين، لما لم أكن غريباً على كل تلك الحكايات، فقد اعتقدت أن مجموعة الحكايات المقترحة ستكون إسهاماً –مهما صغر– في الاهتمام المتزايد بالأدب الشعبي وكذا في الأساطير المقارنة التي –مثلها مثل الفلسفة المقارنة– تبرهن على أن الريفي العاري الداكن البشرة على ضفاف «الغانج» هو ابن عم للانجليزي المتأنّق الأبيض، القاطن على ضفاف «التايمز»، مهما تعددت الاختلافات. التقطت الفكرة متهيئاً متحفزاً لجمع المادة. لكن، أين باستطاعتي أن أعثر على راوية حكايات عجوز؟ لقد حظيت أنا نفسي بواحدةٍ عندما كنت طفلاً، وسمعت مئات الحكايات، بل إني لا أبالغ إن قلت آلاف الحكايات من تلك العجوز ذاتها «أم سامبهو»، لأن تلك المرأة لم تكن امرأة خياليّة زائفة، بل كانت من لحم ودم حملت ذلك الاسم. لكني قد نسيت تلك الحكايات، ولم يتبق منها سوى ذكريات مختلطة مضطربة، حتى صارت بعض نهاياتها بدايات لحكايات غيرها والعكس صحيح. كم تمنيت لو أن تلك المسكينة «أم سامبهو» لا تزال على قيد الحياة! لكنها قد رحلت منذ أمدٍ طويل إلى ذلك العالم الذي لا يرجع منه أحد، كما أن ابنها «سامبهو» أيضا هو الآخر قد لحق بها إلى هناك.

(1) جون فرانسيس كامبل (1821 –1885): أبرز جامع للحكايات الشعبية السلتية (م).

Twitter: @ketab_n

وبعد بحث طويل وجدت «الجدة جريثل»[1] خاصتي – حتى وإن لم تبلغ من العمر نصف ما بلغته «فراو فيمانين من إمارة هسي كاسل»[2] – في امرأة بنغالية مسيحية عاشت وهي طفلة في موطنها الوثني النائي وسمَعت الكثير من الحكايات التي كانت جدتها ترويها. لقد كانت راوية حكايات جيدة وإن يكن مخزونها من الحكايات غير مليء. وبعد أن سمعت عشر حكايات منها كان عليَّ أن أعثر على مصادر جديدة أخرى. حكت بنغالية عجوز حكايتين، وحكى لي حلاقٌ ثلاث، وحكى لي خادم مسنّ من خدمي حكايتين، وسمعت بقية الحكايات من براهمانية[3] عجوز أخرى.

لم يكن من رواتي هؤلاء أحدٌ يجيد الانجليزية، بل حكوا لي كلهم حكاياتهم بالبنغالية، وقمت أنا بترجمتها إلى الانجليزية حين كنت أعود إلى البيت.

لقد سمعت الكثير من الحكايات غير هذه المدونة في هذه المجموعة، لكنني استبعدت الكثير منها إذ بدا لي أنها قد اشتملت على إضافات زائفة على الحكايات الأصلية التي استمعت إليها طفلاً.

(1) الراوية في عدد من حكايات الأخوين جريم (م).
(2) فلاحة ألمانية في هذه الإمارة الألمانية تدعى ماري مولر جمع منها الأخوان جريم الكثير من حكاياتهما (م).
(3) فرع أو مبدأ من مبادئ البوذية (م).

Twitter: @ketab_n

لدي قناعة تامة بأن حكايات هذه المجموعة هي نموذج أصيل للحكايات البنغالية الموغلة في القدم التي كانت ترويها العجائز من عصر لعصر ومن حين لحين.

اعتادت «أم سامبهو» أن تختم كل حكاية من حكاياتها، مثلها مثل كل راوي حكايات بنغالي عريق، بالصيغة المتكررة التالية:

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة

لماذا ذويت يا شجرة زعرور «ناتيا»؟

لماذا ترعين بقرتكِ في عشبي؟

لماذا ترعين أيتها البقرة؟

لماذا لا يلحق بي قطيع أبقارك؟

لماذا يا قطيع الأبقار لا تلحق بالبقرة؟

لماذا لا تعطيني كُنَّتكِ الأرز؟

لماذا يا كُنَّتي لا تعطينه الأرز؟

Twitter: @ketab_n

لماذا يبكي طفلي؟

لماذا تبكي، أيها الطفل؟

لماذا عضتني النملة؟

لماذا عضضته، أيتها النملة؟

اهربوا! اهربوا! اهربوا!

ما الذي تعنيه هذه الأسطر؟ ولماذا كانت تردَّد في نهاية كل قصة؟ وما علاقة كل جزء منها بالآخر؟ لا علم لي بشيء من ذلك. لعل هذه ليست سوى خيط من الهراء وضع قصداً بعضه إلى بعض من أجل تسلية الأطفال الصغار.

لال بيهاري داي

هوغلي كوليج،

27 فبراير، 1883

Twitter: @ketab_n

سرّ الحياة

كان لأحد الملوك زوجتان إحداهما «دو» والأخرى «سو»[1]. وقد حرمت كلا الملكتين من الأطفال. وفي أحد الأيام مرَّ راهب متسوِّل ببوابة القصر ووقف يستجدي. ذهبت الملكة «سو» إلى الباب بحفنة من الأرز. سألها المتسوِّل إن كان لها أي أطفال. ولما أجابته بالنفي، رفض الراهب المتسول أن يأخذ منها الصدقة لأن يدي المرأة التي لم ترزق بطفل تعتبران دينياً غير طاهرتين. فقدَّم لها الراهب دواء يخلصها من عقمها. وأظهرت رغبة في الحصول عليه، فقال لها مرشداً: «خذي هذا الدواء، واشربيه مع عصير زهور الرمان، فإذا فعلتِ هذا، فستنالين طفلاً في الوقت المعلوم. وسيكون ابنك في غاية الجمال، وسيكون لونه بلون زهرة الرمان، وعليك أن تسميه «داليم كومار»[2] أي ابن الرمان. وبما أن الأعداء سيحاولون أن يقضوا على حياة ابنك، فإن عليَّ أن أخبرك أن حياة الولد مرتبطة بحياة سمكة

(1) للملك في حكايات البنغال ملكتان تدعى الكبرى «دو» وهي غير محبوبة، وتدعى الصغرى «سو» وهي المحبوبة والمفضلة لديه (المؤلف).

(2) داليم أو دالبما تعني رُمانة و«كومار» تعني ابن (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

بُوال[1] كبيرة هي في بركتك التي أمام القصر. وفي قلب تلك السمكة صندوق خشبي صغير، وفي الصندوق قلادة ذهبية، تلك القلادة هي حياة ابنك. وداعاً».

بعد زهاء شهر تردد همسٌ في القصر أن الملكة «سو» تترقّب وريثاً للعرش. كانت فرحة الملك طاغية. وراحت تراوده الأحلام والرؤى بأن يرزق بولي عهد يتناسل منه الحكام، الذين يطيلون عصر حكمه لأجيال من بعده، وتُدخِل على نفسه من السرور ما لم يعهده في حياته.

كانت الاحتفالات المعهودة في مثل هذه المناسبة تقام بمواكب فخمة مهيبة يتجمهر فيها المواطنون في حشود صاخبة مرحة استباقاً لميلاد الأمير وهو من أبرز الأحداث البهيجة وأشهرها.

بعد اكتمال أشهر الحمل أنجبت الملكة «سو» ولداً فائق الحسن. وأول ما وقعت عينا الملك على الرضيع طفر قلبه من الفرح. واحتفل بمناسبة المولود الأول احتفالاً استثنائياً صاخباً عمَّت خلاله البهجة ربوع المملكة.

(1) صنف من أسماك المياه العذبة (م).

Twitter: @ketab_n

مرّت السنوات، وترعرع الطفل وصار فتى وسيماً. من بين الألعاب كلها، تعلق قلبه باللعب مع الحمام. وهذا جعله على اتصال مستمر بزوجة أبيه الثانية، الملكة «دو»، إذ كان حمامه على الدوام ينجذب طائراً إلى جناحها الخاص. وفي المرة الأولى التي حط الحمام في غرفتها، أعادته إلى الولد على الفور، لكنها في المرة الثانية ردته إليه على مضض. وحقيقة الأمر هي أن الملكة «دو» كانت تعرف انجذاب الحمام الجارف للطيران إلى جناحها، وقد ودَّت أن تستغل هذا الأمر من أجل تحقيق نواياها الأنانية. كانت بطبيعة الحال تكره الولد لأن الملك منذ ميلاده صار أكثر إهمالاً لها من ذي قبل، وصار أكثر تعلُّقاً بأم «داليم» المحظوظة.

ولا أحد يدري كيف علمت بأن الراهب المتسول الذي أعطى الملكة «سو» العلاج الشهير قد أخبرها بسرٍّ يتعلَّق بحياة الطفل. وعرفت أن حياة الطفل مرتبطة بشيءٍ ما، لكنها لم تعرف ما هو. عزمت على أن تنتزع السر من الولد انتزاعاً. ولذا، حين طار الحمام وحطَّ في غرفتها، رفضت أن تعيدها إليه، وقالت تخاطبه: «لن أعيد لك الحمام حتى تخبرني بشيءٍ ما».

«أي شيء، يا ماما؟».

Twitter: @ketab_n

«لا شيء محدداً يا حبيبي، أريد فقط أن أعرف بمَ هي حياتك معلقة».

«ما هذا، يا ماما؟ وأين يمكن أن تكون حياتي معلقة بسواي؟».

«لا، يا صغيري، ليس هذا ما قصدته. لقد أخبر راهبٌ متسولٌ أمك أن حياتك مرتبطةٌ بشيءٍ ما. وأودّ أن أعرف ما هو ذلك الشيء».

«أنا لم أسمع بشيء كهذا، يا ماما».

«إن وعدتني بأن تسأل أمك عن ذلك، وإن أنت أطلعتني على ما قالته لك أمك، عندئذ سأعطيك الحمام، وإلا فلا».

«حسن، لسوف أسألها، ثم أخبرك. والآن، أعطيني حمامي لو تكرمت».

«سأعطيك الحمام بشرط واحد آخر. عدني ألاّ تقول لأمك أنني طلبت هذه المعلومات».

«أعدك».

Twitter: @ketab_n

أعطت الملكة «دو» الولد الحمام، فابتهج باستعادة طيوره الحبيبة ناسياً كل كلمةٍ مما دار بينه وبينها من حديث. مهما يكن، فقد طار الحمام في اليوم التالي وحط في جناح زوجة أبيه. وذهب «داليم» إليها فسألته عن المعلومات المطلوبة. وعد الولد أن يسأل أمه في ذلك اليوم نفسه، وتوسَّل إليها بشدة أن تطلق له الحمام. ففعلت أخيراً بعد تمنُّع طويل. وبعد أن فرغ الولد من اللعب، ذهب إلى أمه، وقال: «ماما، أخبريني أرجوك بمَ هي حياتي معلقة».

«ماذا تعني، يا بنيّ؟» سألت الأم مدهوشة من سؤاله الغريب. ردَّ: «نعم، يا ماما. لقد سمعت أن راهباً متسولاً أخبرك أن حياتي محفوظة في شيءٍ ما. أخبريني ما هو».

«يا صغيري، يا حبيبي، يا كنزي، يا قمري الذهبي، لا تسأل سؤالاً مشؤوماً كهذا. ابقِ أفواه أعدائي مغطاة بالرماد، ودع داليمي يعيش مدى الحياة».

هكذا رجته الأم بكل ما لديها من حب وحرص عليه. لكن الطفل أصرَّ على أن تطلعه على السر، قائلاً إنه لن يأكل أو يشرب أي شيء حتى تخبره. وفي ساعة نحسٍ، وتحت إلحاح ابنها الشديد، باحت الملكة «سو» للطفل بسر حياته.

Twitter: @ketab_n

وفي اليوم التالي، طار الحمام إلى جناح زوجة أبيه، كأن ذلك أمر مقدَّر. ذهب «داليم» لاستعادة الحمام، فأغرته زوجة أبيه بالكلمات المعسولة وجعلته يفشي السر.

لم تضع الملكة «دو» بعد علمها بسر حياة «داليم كومار» أي وقت، بل سارعت في استخدامه لتنفيذ خطتها الخبيثة. فطلبت من خادمتها أن تحضر لها أعواداً جافة من نبات القنَّب السهلة التقصف، والتي إذا ما ضُغطت أصدرت طقطقة معينة لا تختلف عن طقطقة المفاصل في جسم الانسان. وضعت تلك الأعواد تحت فراشها ورقدت فوقها وأعلنت أنها مريضة جداً. وعلى الرغم من أن الملك لم يكن يحبها كما يحب الملكة الأخرى، لكن الواجب حتَّم عليه أن يعودها في مرضها. تظاهرت الملكة أن عظامها كلها تطقطق وقد أكدت على ذلك حركتها في السرير وهي تتقلب من جانب لآخر في حين تصدر الأعواد الطقطقة المطلوبة.

صدَّق الملك أن الملكة مريضة فعلاً وفي حالة حرجة فأمر أمهر أطبائه أن يتولى رعايتها. ومع ذلك الطبيب ذاته كانت متواطئة. فأخبر الملك بأن ما تعاني منه الملكة لا يجدي معه شيءٌ سوى دهان موجود بداخل سمكة «بوال» كبيرة موجودة في البركة

Twitter: @ketab_n

التي أمام القصر. استُدعي صيادو الملك وأمروا أن يصطادوا السمكة المطلوبة. قذفت الشبكة وسرعان ما اصطيدت السمكة.

كان الصبي «داليم كومار» يلعب مع رفاقه غير بعيد من البركة. وفي اللحظة التي وقعت السمكة في الشبكة، توعَّك «داليم» ولمَّا أخرجت السمكة ووضعت على الأرض، وقع «داليم» أرضاً هو الآخر وبدا وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة. حُمِل في الحال إلى حجرة أمه، في حين ذهل الملك حال سماعه بمرض ابنه المباغت. أخذت السمَكه إلى حجرة الملكة «دو» حسب أمر الطبيب. وبينما وضعت على أرضية الحجرة وأخذت تخبط بزعانفها الأرض، كان «داليم» في حجرة أمه يُسلم الروح. وعندما فُتحت بطن السمكة، أخرج صندوق صغير منها وبداخله قلادة ذهبية. وفي اللحظة التي ارتدت فيها الملكة «دو» القلادة، مات «داليم» في حجرة أمه.

حين سمع الملك بموت ابنه ووريث عرشه، غرق في بحر من الحزن الشديد لم يفلح معه خبر استعادة الملكة لعافيتها في إزالة شيء من ذلك الكرب الرهيب. انتحب يبكي «داليم» بكاءً مرَّاً ظن معه رجال البلاط أنه عقله سيصاب معه بالخبل والجنون. لم يسمح الملك بدفن جثة ابنه الميت، ولا بحرقها. ولم يستطع أن يصدق حقيقة وفاته، إذ كانت مفاجئةً بشكل

Twitter: @ketab_n

مريع ومن دون أدنى سبب. أمر بأن ينقل جسد الطفل إلى أحد منازل الحدائق في ضواحي المدينة وأن يوضع هناك كما هو وأن يزوَّد المنزل بالأثاث والمؤن وكل مستلزمات العيش كأن الأمير الصغير سيحتاج لطعامه وشرابه.

وصدرت الأوامر بأن يبقى المنزل مغلقاً ليل نهار، وألا يُسمح لأحدٍ باستثناء صديق «داليم» الحميم، ابن رئيس الوزراء الذي أعطي مفتاح المنزل، ومنح صلاحية الدخول إليه مرةً واحدة في اليوم.

ومن جرّاء خسارتها العظيمة، عاشت الملكة «سو» في معزل، وخصص الملك لياليه كلها للملكة «دو». ولكي تبدد هذه شكوكه، فقد كانت تنزع القلادة وتضعها جانباً في الليل، وكأنه قد قدِّر لـ «داليم» أن يبقى في حال موت فقط عندما تكون القلادة حول عنق الملكة، ذلك أنه كان يستعيد حياته تماماً كلما نُزعت القلادة. وهكذا راح «داليم» يستعيد حياته أثناء الليل إذ كانت الملكة «دو» تنزع القلادة في الليل، وما إن ترتديها في الصباح حتى يموت. وحين يستعيد «داليم» حياته، يأكل أي طعام يشتهيه إذ كان كل شيء متوافراً. وكان يتجوَّل في المنزل ويتأمل متفكراً في وحدته تلك.

Twitter: @ketab_n

كان صديقه يزوره فقط في النهار ويجد الجثة دائماً مستلقيةً بلا حراك، لكن ما أثار دهشته هو أمرٌ واحد بعينه: لقد ظلت الجثة على حالها التي رآها فيها في أول يوم زارها فيه. لم يحدث لها أدنى تلف أو تعفن، اللهم أنها كانت شاحبة وبلا حراك، وما من علامة على فسادها أو تحللها – بل كان من الواضح أنها طرية تماماً.

وفي ظلّ عجزه عن فهم هذه الظاهرة الغريبة، قرَّر أن يراقب الجثة بدقةٍ أكبر، وأن يزورها ليس في النهار فقط، بل في الليل أيضاً. وفي الليلة الأولى التي زارها فيها ذهل حين رأى صديقه الميت يتمشى الهوينى في الحديقة. ظن في البداية أن تلك الهيئة لم تكن سوى شبح صديقه، لكنه بعد أن لمسه وتفحصه تأكد أنه من لحم ودم. حكى «داليم» لصديقه كل ظروف موته، وخلصا معاً إلى أنه يستعيد حياته في الليل فقط لأن الملكة «دو» تنزع القلادة عندما يزورها الملك. وما دامت حياة الأمير متوقفة على القلادة، فقد رأى الصديقان أن عليهما أن يرسما خطة يستطيعان بها الحصول عليها. وليلةً بعد ليلة، ظلا يتشاوران معاً من دون أن يتوصلا إلى حيلة ممكنة. وفي نهاية الأمر، تشاء الإرادة الإلهية أن يتحرر «داليم كومار» بطريقةٍ رائعة.

Twitter: @ketab_n

قبل سنوات من ذلك الوقت الذي نتحدث عنه، ولدت أخت «بيذاتا بوروشا»[1] بنتاً. سألت الأم القلقة المتلهفة أخاها عمّا كتبه في جبين طفلتها، فرد «بيذاتا بوروشا» أنها يجب أن تتزوج عريساً ميِّتاً. انتابها الكرب الشديد لما سمعته عن مصير ابنتها المروّع، ورأت ألاّ جدوى من الاحتجاج على أخيها والاعتراض على ما فعله لأنها كانت تعرف تماماً أنه لم يسبق له أن غيَّر شيئاً دوّنه. كبرت الطفلة وصارت ذات جمال استثنائي، لكن أمها لم تستطع أن تنظر إليها بفرح بسبب ما قدَّره لها أخوها المبجَّل من مصير. وحين بلغت الفتاة سن الزواج، عزمت الأم على الفرار معها من البلاد فتتفادى ذلك المصير المريع. إلاَّ أن ما سطره القدر لا يمكن اجتنابه. إذ أنهما في ترحُّلهما وصلتا إلى باب منزل الحديقة ذاك الذي يرقد فيه «داليم كومار» نفسه.

قالت البنت إنها تشعر بالعطش الشديد. أخبرتها أمها أن تجلس عند ذلك الباب وذهبت لتبحث عن الماء في أحد الأكواخ المجاورة. وهي جالسة تنتظر، وبدافع الفضول المحض، دفعت الباب ففتح تلقائيّاً. دلفت فأبصرت قصراً بديعاً، لكنها تراجعت تودُّ الخروج فانغلق الباب دونها من

(1) Bidhata– Purusha في المعتقد البوذي هو الإله الذي يقرّر سلفاً كل الأحداث التي سيشهدها المرء في حياته ويكتب ملخصاً بها على جبينه (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

ذات نفسه ولم تستطع الخروج. وبحلول الليل استعاد الأمير حياته، وفيما هو يتمشى وقعت عيناه على هيئة مخلوقٍ بشري بجوار البوابة. مضى صوبه وتبيَّن أنها فتاة ذات جمال صاعق. ولما سألها عمَّن تكون، حكت له تفاصيل عمرها القصير – كيف أن خالها المبجَّل «بيذاتا بوروشا» كتب على جبينها عند ميلادها أنَّها ستتزوج عريساً ميتاً، وكيف أن أمها لم تجد السرور منذ ذلك الحين بسبب قلقها من مصيرها المنتظر المريع، وكيف أن أمها بسبب ذلك ما إن بلغت هي سن الزواج حتى رأت أن تفر بها تحاشياً لتلك الكارثة، فغادرتا بيتهما وراحتا تهيمان في الأرض، وكيف وصلتا إلى تلك البوابة، وأن أمها ذهبت في طلب الماء من أجلها.

لما سمع «داليم كومار» قصتها المحزنة، قال: «أنا العريس الميت، ولابد لك من الزواج بي، تعالي معي إلى الداخل».

«كيف تقول إنك عريسٌ ميت وأنت تقف أمامي وتتحدث إلي؟».

«لسوف تفهمين هذا فيما بعد. تعالي الآن، هيا اتبعيني».

مشت الفتاة خلف الأمير إلى القصر. ولما كانت قد قضت

Twitter: @ketab_n

النهار كله صائمة فقد ضيفها الأمير بكرم بالغ. أما أم الفتاة، وأخت «بيذاتا بوروشا» فقد عادت إلى البوابة بعد حلول الظلام، ونادت ابنتها، ولم تجد رداً، فمضت تبحث عنها في الأكواخ المجاورة. وقد قيل إنها فقدت بعد ذلك ولم يعثر لها أحدٌ على أثر.

وبينما كانت ابنة أخت «بيذاتا بوروشا» المبجل ضيفة عند «داليم كومار»، ظهر صديقه كالمعتاد. دهش لمرأى الغريبة الجميلة، وكبرت دهشته حين سمع حكايتها من شفتيها هي. قرروا معاً في تلك الليلة ذاتها أن ترتبط الفتاة بالأمير برباط الزواج، ولما كان القديسون بعيداً عن الأمر، فقد تليت ترانيم الزواج وتبادل الأكاليل على طريقة الـ«جاندهارفا»[1]. استأذن الصديق من العريس الجديد وزوجته بالمغادرة وعاد إلى منزله. قضى الزوجان السعيدان معظم ليلتهما ساهرين يقظين، ثم ناما ولم يستيقظا إلا بعد أن طلعت الشمس - كان عليَّ أن أقول إن الزوجة الشابة استيقظت من نومها، لأن الأمير كان قد صار جثةً هامدة باردة بعد أن غادرتها الحياة. يمكن -بطبيعة الحال- تخيُّل مشاعر الزوجة. هزَّت زوجها، وطبعت القبلات الحارة

(1) هناك ثماني طرق للزواج في البوذية الهندية وهذا الشكل أحدها ويقضي بتبادل أكاليل الزهر بين العروسين (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

على شفتيه الباردتين، لكن دون جدوى. لقد كان أشبه بتمثال من الرخام. انتابها الرعب، وراحت تخبط صدرها وجبينها براحتي يديها وتشد شعرها وهي تلوب في أرجاء الدار وفي الحديقة، وبدت وكأنها قد جُنّت. لم يأت صديق «داليم» خلال النهار وكأنه قد رأى أنه من غير الملائم أن يزورهما بينما زوجها يستلقي ميتا. ومرّ النهار على المسكينة كعام كامل، إلا إن لأطول الأيام نهاية أيضاً، ولما هبطت ظلال المساء في الأفق، استيقظ زوجها الميت واستعاد وعيه، ونهض من سريره، وعانق زوجته الملهوفة المذعورة، وأكل وشرب وابتهج.

ظهر صديقه كالمعتاد، وقضوا الليل سعيدين. وهكذا قضى الأمير وزوجته سبعة أو ثمانية أعوام بين الحياة والموت أنجبت خلالها الأميرة ولدين جميلين يشبهان أباهما تماماً.

لعله من فضول القول الإشارة إلى أن الملك والملكتين ورجال ونساء الحاشية الملكية لم يعرفوا شيئاً عن أن «داليم كومار» كان لا يزال حياً يعيش حياته ليلاً. لقد ظنوا جميعاً أن جثته قد أحرقت منذ أمد طويل بعد موته. لكن قلب زوجته كان يتحرق ويتفطّر شوقاً إلى حماتها التي لم ترها. دبّرت خطة لا تمكنها من رؤية حماتها فحسب، بل أيضاً تستطيع بها أن تحصل على قلادة الملكه

Twitter: @ketab_n

«دو» التي تتوقف عليها حياة زوجها. وبموافقة زوجها وصديقه تنكرت في زي حلاقة فأخذت صرة تحتوي على عدة الحلاقة والزينة: أداة حديدية لقص الأظافر، وأداة أخرى لإزالة الأجزاء الزائدة من لحم الأقدام، وقطعة من القرميد المحروق لتدليك باطن الأقدام، وأوراق أشجار رقيقة مع صمغ اللَّك لتزيين رؤوس أصابع الأقدام. حملت صرتها ووقفت ببوابة القصر الملكي مع ابنيها. وأعلنت عن نفسها بأنها حلاقة وأفصحت عن رغبتها برؤية الملكة «سو» التي وافقت على لقائها. أُخذت الملكة بمنظر الولدين الصغيرين اللذين أعلنت صراحة أنهما ذكراها بحبيبها «داليم كومار». انهمرت الدموع غزيرة من عينيها وقد استعادت ذكرى كنزها المفقود، لكنها ما كانت لتتخيَّل على الاطلاق أن الولدين هما ابنا حبيبها «داليم». أخبرت الحلاقة المفترضة أنها ليست بحاجة إلى خدماتها لأنها منذ وفاة ابنها تخلت عن الاهتمام بالتزين والمتع الدنيوية التافهة، ومن بين كل ذلك صبغ قدميها بالحناء، لكنها أضافت أنها ستكون سعيدة أن تراها بين الحين والآخر مع طفليها الجميلين. ذهبت الحلاقة (وهذا هو الاسم الذي علينا أن ندعوها به في الوقت الحاضر) إلى جناح الملكة «دو» وعرضت عليها خدماتها. فسمحت لها الملكة أن تقص لها أظافرها وأن تزيل القشور الزائدة من قدميها،

Twitter: @ketab_n

وأن تصبغهما وتزينهما بالحناء، وكانت مسرورة من براعتها ورقة خدمتها، لدرجة أنها طلبت منها أن تأتيها بشكل دوري. لاحظت الحلاقة باهتمام غير قليل القلادة التي تتدلى من عنقها.

حل اليوم الموعود لزيارتها الثانية، فأخبرت ابنها الأكبر أن يطلق صرخات عالية في القصر دون توقف طالباً الحصول على القلادة الخاصة بالملكة. وذهبت الحلاقة إلى جناح الملكة في الموعد المحدد، وفي أثناء انشغالها في تزيين قدميها صاح الولد الأكبر صيحة عالية. ولما سئل عن سبب صراخه، ردَّ كما أخبرته أمه أنه يريد الحصول على قلادة الملكة. قالت الملكة إن ذلك أمرٌ مستحيل لأنها أحب قطعة في مجوهراتها ولا يمكنها أن تتخلى عنها. حاولت، على أي حال، أن تهدِّئ الولد فنزعتها ووضعتها في يده، فكفَّ عن البكاء وتشبَّث بالقلادة بكل قوته. وبعد أن فرغت الحلاقة من عملها وكانت على وشك أن تغادر، طلبت الملكة القلادة. لكن الولد رفض أن يتخلى عنها. وعندما حاولت أمه أن تخطفها منه، بكى بحرقةٍ شديدة وأظهر كأن قلبه سينفطر. عندئذ قالت الحلاقة: «هل تتكرَّم جلالتك بأن تسمح للولد أن يبقي القلادة معه؟ وعندما ينام بعد أن يشرب حليبه خلال ساعة، سوف آخذها وأعيدها إليك على الفور».

Twitter: @ketab_n

لما رأت الملكة تشبث الولد الشديد بها، وافقت على طلب الحلاقة، خصوصاً أن «داليم» الذي تتوقف حياته عليها قد شبع موتاً بين الأموات. وهكذا حصلت الأميرة على القلادة الكنز التي تتوقف عليها حياة زوجها. انطلقت على جناح السرعة إلى قصر الحديقة وقدمت القلادة لـ«داليم» الذي كان قد استعاد حياته. استولت عليهما الفرحة الطاغية اللامحدودة، ونصحهما صديقه أن يذهبا في اليوم التالي إلى القصر الملكي، ويقدما نفسيهما للملك والملكة «سو». فاتخذت الاستعدادات اللازمة لذلك، فأسرج فيلٌ وزُيِّن بالملابس الفاخرة وأعد للأمير «داليم كومار»، وألبسهم مهران للولدين الصغيرين، وزخرف هودج بستائر وشرائط ذهبية لتجلس فيه الأميرة.

أرسلت كلمة إلى الملك والملكة «سو» بأن الأمير «داليم كومار» ليس حيّاً فقط، بل إنه أيضاً قادمٌ لزيارة أبيه الملك وأمه الملكة بصحبة زوجته وولديه. لم يستطع الملك والملكة «سو» أن يصدقا ما سمعاه، لكن تواتر التأكيدات على صحة الخبر أدخلتهما معاً في نشوة فرح فريدة، في حين توقعت الملكة «دو» افتضاح حيلتها الخبيثة فغمرها الكرب الشديد.

Twitter: @ketab_n

تقدَّم موكب «داليم كومار» مصحوباً بفرقة الموسيقيين، واقترب من القصر. خرج الملك والملكة «سو» لاستقبال ابنهما المفقود منذ زمن طويل. لا حاجة إلى القول بأن فرحتهما كانت قد بلغت ذروة التوتر فتعانقوا باكين ضاحكين.

قص «داليم» بعد ذلك ملابسات وظروف موته، فاستشاط الملك غضباً وأمر بإحضار الملكة «دو». وحفرت حفرة عميقة بقامة رجل، ووضعت فيها الملكة مستقيمة. ثم هِيل الزعرور الشائك حولها حتى بلغ قمة رأسها، ودفنت حية.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة

لماذا ذويت يا شجرة زعرور «ناتيا»؟

لماذا ترعين بقرتكِ في عشبي؟

لماذا ترعين أيتها البقرة؟

لماذا لا يلحق بي قطيع أبقارك؟

لماذا يا قطيع الأبقار لا تلحق بالبقرة؟

Twitter: @ketab_n

لماذا لا تعطيني كُنَّتكِ الأرز؟

لماذا يا كُنَّتي لا تعطينه الأرز؟

لماذا يبكي طفلي؟

لماذا تبكي، أيها الطفل؟

لماذا عضتني النملة؟

لماذا عضضته، أيتها النملة؟

اهربوا! اهربوا! اهربوا!

Twitter: @ketab_n

فاكر تشاند

عاش ابن ملك وابن رئيس وزراء معاً. أحب أحدهما الآخر حبّاً عميقاً، فكانا يجلسان معاً، ويقفان معاً، ويتمشيان معاً، ويأكلان معاً، وينامان معاً، ويستيقظان معاً. بهذه الطريقة قضيا سنوات عديدة في صحبة أحدهما للآخر حتى استشعرا الرغبة في أن يذهبا لمشاهدة بلدان أخرى وأراض غريبة. وهكذا انطلقا ذات يوم في رحلتهما. ومع أنهما غنيَّان، إذ أن أحدهما ابن الملك والآخر ابن رئيس الوزراء، إلا أنهما لم يصطحبا معهما أي خدم، بل ذهبا وحدهما على صهوتي جواديهما.

كان الجوادان آيتين في الجمال يسرّان عيني الناظر، وكانا يدعيان ملكَيْ الطير. ارتحل ابن الملك وابن رئيس الوزراء أياماً عديدة. اجتازا سهولاً واسعة مغطاة بحقول الأرز، ودخلا مدناً كبيرة وأخرى صغيرة، ومرّا بقرى، وعبرا صحاري لا ماء فيها ولا أشجار، ودخلا غابات كثيفة هي مأوى للنمور والدببة.

Twitter: @ketab_n

وفي إحدى الأماسي حل عليهما الظلام وهما في منطقةٍ لم يريا فيها بشراً، ولما كان الظلام قد اشتد أكثر فأكثر ترجلا عن جواديهما تحت شجرةٍ باسقةٍ وارفة، وربطا الجوادين إلى جذعها، ثم تسلّقا الشجرة واستقرا بين فروعها الكثيفة الأوراق. نمت الشجرة قريباً من بركة ماؤها صاف كعين الديك. هيأ ابن الملك وابن رئيس الوزراء قدر استطاعتهما لنفسيهما مكاناً مريحاً على الشجرة بعد أن عزما على قضاء الليل فيها. كانا يتحدثان حيناً في همس خوفاً من رعب تلك المنطقة النائية، وحيناً آخر كانا يظلان صامتين تماماً لبضع دقائق، وحيناً آخر يغرقان في النعاس، ثم أبصرا مشهداً مريعاً استحوذ على انتباههما.

سمعا صوتاً يشبه تدفق مياهٍ من وسط البحيرة. ثم رأيا ثعباناً هائلاً يقفز صاعداً من الماء وقد رفع رأسه وفرد قلنسوته ذات الحجم الرهيب الذي يصل امتداده إلى عشرات الياردات. سبح الثعبان خارجاً إلى حافة البحيرة مواصلاً هسهسته وهو يلوب هنا وهناك. لكن ما استحوذ على اهتمام ابن الملك وابن رئيس الوزراء أكثر من أي شيءٍ آخر كان تلك الجوهرة اللامعة التي تتوِّج قلنسوة الثعبان. كانت تلمع كأنها ألف ماسة فأضاءت البحيرة وحوافها وكل شيء حولها. نزع الثعبان الجوهرة من

Twitter: @ketab_n

قلنسوته وألقى بها إلى الأرض ثم واصل همهمته باحثاً عن الطعام. دهش الصديقان من تلك الجوهرة المشرقة البديعة وهي تنشر بريقها العصي على الوصف على كل شيء حولها. لم يسبق لهما أن رأيا شيئاً كهذا، كانا قد سمعا فقط عن شيء مثله يساوي كنوز سبعة ملوك. مهما يكن، فإن عجابهما ذاك سرعان ما تبدَّل إلى حزن وخوف، لأن الثعبان قدِم يهمس حتى وصل أسفل الشجرة التي كانا يختبئان بين فروعها، ثم ابتلع الجوادين المربوطين الواحد بعد الآخر. وخشيا أنهما سيكونان الضحيتين التاليتين. لكنهما تنفسا الصعداء وقد رأيا الثعبان العملاق يزحف مبتعداً عن الشجرة، وراح يجوب المنطقه مجتازاً مسافة بعيدة.

لما رأى ابن رئيس الوزراء هذا، خطر له أن يحصل على الجوهرة البراقة. كان قد سمع من قبل أن الطريقة الوحيدة لإخفاء بريقها اللامع هي في تغطيتها بروث الخيول أو بمخلفات الأبقار وقد وجد كمية كافية من روث الخيول قريباً من جذع الشجرة. فنزل عن الشجرة والتقط الروث ورماه على الجوهرة الثمينة ثم عاد متسلقاً الشجرة. ولما انطفأ ضوء الجوهرة ولم يعد الثعبان يبصره، هبَّ مسرعا إلى الموضع الذي تركها فيه. كانت همهمته وتوجُّعه ونشيجه رهيبة فظيعة. أخذ يلف ويدور حول الجوهرة

Twitter: @ketab_n

المغطاة بالروث ثم زفر زفرته الأخيرة ميّتاً.

باكراً، في صباح اليوم التالي، نزل ابن الملك وابن رئيس الوزراء من الشجرة واقتربا من مكان الجوهرة حيث كان الثعبان الجبار يستلقي بلا حراك. أخذ ابن رئيس الوزراء الجوهرة مغطاة بالروث ثم ذهبا معاً إلى البحيرة ليغسلاها. وما إن أزيل عنها الروث حتى أخذت تتلألأ ثانية كما كانت تتلألأ من قبل. أضاءت قعر البحيرة كله مظهرة أسماكاً لا تحصى تسبح في المياه. لكن ما أثار دهشتهما هو أنهما أبصرا في ضوء الجوهرة أسواراً عالية في قعر البحيرة بدت أسوار قصر مهيب. اقترح ابن رئيس الوزراء المغامر على الأمير أن يغوصا في الماء حتى يصلا إلى ذلك القصر. غاصا معاً في المياه، والجوهرة في يد ابن رئيس الوزراء، وخلال فترة وجيزة وصلا إلى بوابة القصر المفتوحة. لم يلحظا مخلوقاً إنسيّاً كان أو جنيّاً. دخلا وأبصرا حديقة بديعة تمتد على أرضٍ فسيحة حول القصر الذي يتوسطها. لم يريا من قبل مثل ذلك القدر من الزهور في الكثرة والتنوع والألوان والروائح والجمال: الورود والياسمين ملكة الروائح وليلك الوادي، والشامباكا وألف نوع غيرها من ذوات الروائح العطرة. ومن كل نوع من تلك الزهور والورود كانت توجد أعداد لا تحصى. فهنا مئة أجمة من الورد، وهناك آلاف الأمتار المربعة مغطاة بالياسمين، وهناك مساحات شاسعة من

Twitter: @ketab_n

نباتات الزهور من كل صنف.

ولما كانت كل النباتات تتفتق بالزهور، وكانت كل الورود في تفتُّحها، فقد كان الجو كله مفعماً بالعطر الثري. كانت تلك بريَّة من العذوبة. وخلال هذا الفردوس راحا يتقدمان نحو القصر الذي تحفُّه الأشجار الباسقة. وقفا بالبوابة. كان قصراً جميلاً، جدرانه من الذهب الصقيل، وهنا وهناك يلتمع الماس ذو الألوان اللازوردية المتعددة. لم يقابلا مخلوقاً من البشر أو من غير البشر. دخلا فأذهلهما الأثاث الفخم في الداخل. أخذا يتنقلان من حجرة لحجرة ولم يريا أحداً. لقد بدا لهما قصراً مهجوراً.

وفي الأخير، وجدا في إحدى الغرف فتاة مستلقية نائمة في سرير ذي إطار ذهبي، فتاة في غاية الجمال، بشرتها مزيج من الحمرة والبياض، وعمرها يبلغ السادسة عشرة. تطلّع ابن الملك وابن رئيس الوزراء إليها مذهولين حائرين، لكنهما لم يظلا طويلاً إذ فتحت الفتاة عينيها اللتين بدتا كعيني غزالة. وما إن أبصرت الغريبين حتى ابتدرتهما قائلةً: «كيف وصلتما إلى هنا، أيها التعيسان؟ اذهبا، اذهبا! هذا هو مسكن ثعبان جبار التهم أبي وأمي وإخوتي وكلَّ أقاربي. أنا الوحيدة المتبقية التي أبقى عليها من العائلة كلها. اهربا إن أردتما البقاء حيين وإلاّ فإن الثعبان

Twitter: @ketab_n

سيودعكما بلعومه الواسع».

أخبر ابن رئيس الوزراء الأميرة كيف لفظ الثعبان الجبار أنفاسه الأخيرة، وكيف أنه هو وصديقه يملكان جوهرته، وأنهما بواسطة ضوئها اهتديا إلى هذا القصر. شكرت الغريبان لتحريرها من الثعبان الجهنمي، ثم توسلت إليهما أن يعيشا في القصر وألا يتركاها وحدها. قبل ابن الملك وابن رئيس الوزراء دعوتها بسرور. وإذ سحره جمال الأميرة الذي لا نظير له، تزوج ابن الملك الفتاة بعد وقت قصير، ولما لم يكن ثمة كاهن رُدِّدت الترانيم وتبودلت أكاليل الزهور.

كان ابن الملك في غاية السعادة إلى جانب الأميرة التي كان لطفها ورقة تعاملها بقدر جمالها، وشارك ابن رئيس الوزراء صديقه وزوجته سعادتهما مع أن زوجته كانت في العالم العلوي. وهكذا مرت الأيام سعيدة مرحة حتى رأى ابن الملك أن عليه أن يرجع إلى موطنه فتدبرا العودة التي تليق بالمناسبة وبالأميرة. قررا أن يصعد ابن رئيس الوزراء أولاً من تلك المناطق السفلية، ثم يذهب إلى الملك ويجيء معه بالمرافقين وخيولهم وأفيالهم للزوجين السعيدين. ولذا فقد كانت جوهرة الثعبان ضرورية. رافق ابن الملك صديقه والجوهرة بيده إلى العالم العلوي، ثم ودَّعه

Twitter: @ketab_n

وعاد إلى زوجته الحبيبة في قصرها المسحور. وقبل أن يغادر، حدّد ابن رئيس الوزراء اليوم والساعة التي سيقف فيهما عند ضفة البحيرة مع الخيول والأفيال والحاشية بانتظار الأمير والأميرة اللذين سيلتحقان بهم في العالم العلوي مستعينين بالجوهرة.

سنترك ابن رئيس الوزراء ليقوم بالترتيبات اللازمة لعودة الأمير والأميرة، لنرى كيف كان الزوجان السعيدان يقضيان وقتهما في ذلك القصر السرّي. ففي أحد الأيام، عندما كان الأمير نائماً بعد أن تناول غداءه، شعرت الأميرة التي لم يسبق لها أن رأت العالم العلوي، بالرغبة في رؤيته، كانت الجوهرة – وهي السبيل الوحيد لتحقيق ذلك بأمان في عبور المياه– تنير الغرفة ببريقها الوهاج. فأخذت الجوهرة، وتركت القصر، وأفلحت في بلوغ سطح الأرض. لم تبصر عيناها كائناً حيّاً. جلست على الدرجات التي رصت ليستخدمها المستحمُّون، راحت تفرك جسدها وتغسل شعرها وتلهو وتمشي على المياه معجبة بكل ما تقع عليه عيناها من مشاهد حولها، وبعد ذلك عادت إلى قصرها فوجدت زوجها لا يزال في نومه. ولما استيقظ الأمير، لم تخبره بمغامرتها. وفي اليوم التالي، وفي الوقت ذاته، قامت بزيارة ثانية إلى العالم العلوي وعادت من دون أن يراها إنسان. شجعها نجاحها،

Twitter: @ketab_n

فكررت مغامرتها مرةً ثالثة. وفي هذه المرة صادف أن كان ابن «الراجا» الذي كانت البحيرة تقع في مقاطعته، في رحلة صيد هناك، وكان قد نصب خيمته غير بعيد من المكان. وبينما كان مرافقوه مشغولين بإعداد طعام الغداء، وقف ابن «الراجا» على ضفة البحيرة إلى جانب عجوز تجمع الأعواد والفروع الجافة. في تلك اللحظة قامت الأميرة بزيارتها. صعدت من المياه، وتطلعت حولها فأبصرت رجلاً وامرأة على الضفة فغاصت عائدة على الفور. لمحت عينا ابن «الراجا» منظراً خاطفاً للأميرة وكذلك العجوز التي تجمع الحطب.

ظل ابن «الراجا» يحدِّق في المياه. لم يسبق له أن رأى جمالاً كذلك الجمال. بدت له واحدةً من إلاهات الفردوس «ديواكانياس»، اللاتي قرأ عنهن في الكتب القديمة، واللاتي يقال إنهنَّ يفضلن زيارة العوالم السفلية، وإن زياراتهن، مثلها مثل زيارة الملائكة هي «نادرة ومتباعدة». وقد ترك مرأى الأميرة السماوية الذي لم يدم سوى وهلةٍ قصيرة في قلبه انطباعاً عميقاً وأذهل عقله. تسمَّر في بقعته كتمثال محدقاً في المياه ساعات طويلة، يمني نفسه أن يظفر بنظرة أخرى من ذلك الملاك، ولكن دون جدوى. لم تظهر الأميرة مرةً ثانية. جنّ ابن

Twitter: @ketab_n

«الراجا» بها حبّاً وهياماً. أخذ يردد: «كانت هنا الآن! ذهبت الآن! كانت هنا الآن! ذهبت الآن!» أصر على البقاء في ذلك المكان حتى اضطر المرافقون إلى أن يجرّوه جراً إلى قصر أبيه وهو في حالة جنون تام ميئوس منه. لم يتكلم إلى أحد، بل ظل يتنهد وينشج بحرقة متلفظاً بتلك الكلمات التي راح يرددها دون سواها: «كانت الآن هنا. ذهبت الآن!». يمكننا فهم مدى كرب «الراجا»، فهو لم يستطع أن يتخيل ما الذي أثّر على عقل ابنه على هذا النحو. وبدت الكلمات التي يتلفظ غامضة بالنسبة إليه: «كانت الآن هنا! ذهبت الآن!». لم يستطع أن يتبين لها معنى، ولا استطاع مرافقوه أن يلقوا ضوءاً على الموضوع. كما أن أفضل الأطباء في البلاد قد استشيروا، من دون جدوى. لم يستطع أبناء «اسكولبيس» أن يتأكدوا من سبب الجنون، فكيف باستطاعتهم إذن أن يشفوه. ورغم كل استفسارات الأطباء عن السبب، لم يحصلوا على شيء سوى «كانت الآن هنا! ذهبت الآن! كانت الآن هنا! ذهبت الآن!».

منشغلاً ذاهلاً من كربه على ابنه، أمر «الراجا» بأن يُعلن في العاصمة –مع الاستعانة بقرع الطبل– أن من يستطيع شرح سبب جنون ابنه وشفائه فإنه سيكافأ بالزواج من ابنة «الراجا»

Twitter: @ketab_n

وسيعطى نصف المملكة. قرع الطبل في أنحاء المدينة، وما من أحد وجد في نفسه القدرة على فعل شيء إذ لم يكن أحد يدري سبب جنون ابن «الراجا».

وفي الأخير، لمست امرأة عجوز الطبلَ، وأعلنت أنها لن تكتشف سبب الجنون فقط، بل أيضاً ستشفيه. تلك المرأة كانت مطابقة للمرأة التي كانت تجمع أعواد الحطب إلى جانب البحيرة حين كان ابن «الراجا» واقفاً لحظة فقد عقله، وكان لها ابن مختل العقل يدعى «فاكر تشاند»، وكانت هي تدعى «أم فاكر». حين أحضرت المرأة إلى بين يدي «الراجا»، دار بينهما الحديث التالي. قال «الراجا»: «أنت المرأة التي لمست الطبل. هل تعرفين سبب جنون ابني؟».

«نعم، يا رمز العدالة! أنا أعرف السبب، لكني لن أذكره حتى أشفي ابنك».

«وكيف يمكنني أن أصدق أنك قادرةٌ على شفاء ابني في حين عجز عن ذلك أمهر الأطباء؟».

«لستَ بحاجة إلى التصديق الآن، يا مولاي، حتى أشفيه. كم من عجوز تعرف من الأسرار ما لا يعرفه حكماء الرجال».

Twitter: @ketab_n

«حسنا جدّاً. فلنر ما الذي باستطاعتك فعله. متى يمكنك علاجه؟».

«من المستحيل تحديد الوقت الآن، لكني سأبدأ عملي في الحال بمساعدتك يا مولاي».

«أي مساعدة تريدينها مني؟».

«ستأمر جلالتك بإقامة كوخ بجوار البحيرة حيث أصيب ابنك في بادئ الأمر. إنني أنوي أن أقيم هناك لبضعة أيام. وستأمر جلالتك أن يكون هناك بعض الخدم متواجدين قريباً من الكوخ على بعد مئة ياردة لكي يستطيعوا سماع النداء إذا ما دُعوا».

«حسناً جداً، سوف آمر على الفور بتلبية طلبك. أتودين أي شيء آخر؟».

«لا شيء غير ذلك، يا مولاي، فيما يخص الاستعدادات. لكني أريد أن أذكر جلالتك بالشروط التي على أساسها سأتولى شفاء ابنك. لقد وعدت، جلالتك، أن تزوج من يشفي ابنك بابنتك، كما وعدت أن تمنحه نصف المملكة. ولأني امرأة فلا

Twitter: @ketab_n

أستطيع الزواج بابنتك، لكني أرجو إذا ما نجحت في مهمتي أن تزوِّج ابني فاكر تشاند بابنتك، وأن ينال نصف المملكة».

«موافق، موافق».

أقيم كوخٌ مؤقت في بضع ساعات على ضفة البحيرة، وأقامت فيه «أم فاكر». كما أقيم موضع في المكان المحدد للخدم الذين يمكن أن يُستدعوا لتقديم المساعدة للمرأة. أعطت المرأة تعليمات صارمة بألاّ يقترب أحد سواها من البحيرة.

فلندع الآن «أم فاكر» تراقب البحيرة، ولنذهب سريعاً إلى القصر السري لنرى ما الذي كان يفعله الأمير والأميرة. بعد تلك الحادثة المؤسفة التي حدثت عند زيارتها الأخيرة، تخلَّت الأميرة عن فكرة القيام بزيارةٍ رابعة. لكن للنساء فضول أعظم من فضول الرجال، وأميرة القصر السري لم تكن استثناءً عن هذه القاعدة. ففي أحد الأيام، عندما كان زوجها نائماً كالمعتاد، خرجت من القصر ومعها الجوهرة في يدها وصعدت إلى أعلى. وفي اللحظة التي ثار فيها ماء البحيرة في وسطها، كانت «أم فاكر» – التي أخفت نفسها في الكوخ وظلت يقظة – ترقب من خلال شقٍّ في الجدار. لم تر الأميرة مخلوقاً في الجوار، فخرجت إلى ضفة البحيرة، وجلست على الدرجات تفرك جسدها. أظهرت «أم فاكر» نفسها خارجة من الكوخ، وقالت

Twitter: @ketab_n

مخاطبة الأميرة بنبرةٍ ظافرة: «تعالي يا طفلتي يا ملكة الجمال، تعالي إليَّ، وسوف أساعدك على الاستحمام».

قالت ذلك واقتربت من الأميرة التي رأت أنها لم تكن سوى امرأة عجوز، فلم تظهر أي مقاومة. وبينما كانت العجوز تغسل شعر الأميرة، لمحت الجوهرة في يدها، وقالت: «ضعي الجوهرة هنا حتى تستحمي».

وعلى الفور صارت الجوهرة في يد العجوز «أم فاكر» التي ربطتها بالقماش الذي حول خصرها. ولما كانت تعرف أن الأميرة لن تستطيع أن تهرب، أعطت الإشارة للخدم المنتظرين، فأسرعوا إلى البحيرة وأسروا الأميرة.

عمت البهجة الناس حين بلغتهم الأخبار عن أسر «أم فاكر» لحورية الماء من العالم السفلي. وهرعت المدينة كلها لترى «ابنة الخالدين» كما سموها. وحين أحضرت إلى القصر لمواجهة ابن «الراجا» المصاب باختلال عقله، صاح صيحة جذَلٍ: «وجدتها! وجدتها!».

تبدَّدت السحب التي غشيت عقله في الحال. وأشرقت الآن العينان اللتان انطفأتا ببريق متقد بالذكاء، وهدأ لسانه الذي لم

Twitter: @ketab_n

يعد ينطق بشيء سوى بتلك الكلمات: «كانت الآن هنا! ذهبت الآن!»: وباختصار لقد استعاد الآن حالته الطبيعية تماماً. كانت فرحة «الراجا» بلا حدود. واحتفلت المدينة كلها بالمناسبة، وتوقع الناس الذين انهالوا بالتبريكات على أم فاكر تشاند أن يتم زواج ابن «الراجا» سريعاً إلى حورية العالم السفلي. لكن الأميرة أخبرت «الراجا» بواسطة «أم فاكر» أنها أقسمت ألا تنظر لمدة عام كامل في وجه إنسان غير وجه زوجها الذي يقيم في الأسفل ولذا فلا يمكن أن يقام الزواج خلال تلك الفترة. ومع أنَّ ابن «الراجا» قد شعر بخيبة الأمل، إلا أنه وافق على التأجيل عملاً بقول المثل إن التأخير يزيد حلاوة المسرة التي تنتظره.

لعله من غير الضروري القول إن الأميرة قضت أيامها ولياليها محزونة تتنهد وتتحسَّر، نادبة ذلك الفضول الغبي الذي قادها إلى العالم العلوي تاركةً زوجها في الأسفل. وحين تذكرت أن زوجها هو وحده هناك في الأسفل تحت المياه بكت بحرقة. وتمنت لو تستطيع الفرار. غير أن ذلك كان مستحيلاً لأنها كانت محاطة بالأسوار ومن دون تلك الأسوار أسوار أخرى. فضلاً عن ذلك، فإنها إن استطاعت أن تخرج من القصر ومن المدينة، فما جدوى ذلك؟ فهي لا تستطيع أن تستعيد زوجها لأن جوهرة الثعبان لم

Twitter: @ketab_n

تكن بحوزتها. حاولت نساء القصر و«أم فاكر» أن يصرفن عقلها عما يشغلها فلم يفلحن، إذ لم تعد تجد السلوى في شيء، ولم تعد تتكلم إلى أحد إلا فيما ندر. وظلت تبكي ليل نهار. اقترب عام القسم من نهايته ولم تزل مكروبة حزينة. لكن الزواج لابدّ من أن يتم، مهما يكن. استشار «الراجا» المنجمين، وحُدِّد اليوم. أخذ حلوانيو المدينة يواصلون أعمالهم ليل نهار، وكلّف موردو الحليب بتزويد القصر بالحليب والزبدة، وأعـدّت المفرقعات النارية، وجهّزت أماكن فرق الموسيقيين تحت السقائف المنصوبة خارج بوابة القصر، ووزعت الحلويات هنا وهناك، وأشيع في المدينة كلها جوّ من الفرح الاحتفالي البهيج.

حان الوقت الآن للالتفات إلى ابن رئيس الوزراء الذي غادر تاركاً صديقه في قصر العالم السفلي، وعاد إلى موطنه ليجلب الجياد والأفيال والمرافقين من أجل عودة ابن الملك وزوجته الجميلة على نحو ملائم يليق بهما. استغرقته الاستعدادات أشهراً عديدة، ولما صار كل شيء معداً، انطلق في رحلته مصطحباً قافلة طويلة من الفيلة والجياد والمرافقين. وصل إلى ضفة البحيرة قبل يومين أو ثلاثة من الموعد المحدد. نُصبت الخيام تحت أشجار المانجو التي تحيط بالبحيرة لسكن الرجال والماشية، وظل ابن

Twitter: @ketab_n

رئيس الوزراء مركزاً عينيه على ماء البحيرة. غابت شمس اليوم الموعود وراء الأفق، لكن الأميرة والأمير اللذين يقيمان في الأسفل لم يظهرا. وانتظر يومين أو ثلاثة ولم يظهر الأمير. ترى، ماذا حدث لصديقه الأمير ولزوجته الجميلة؟ هل ماتا؟ هل جاء ثعبان آخر أو زوجة ذلك الثعبان ولدغت الأمير والأميرة حتى قضت عليهما؟ هل فقدا جوهرة الثعبان؟ أم أنهما أسرا عندما صعدا إلى الأعلى؟ هكذا فكر ابن رئيس الوزراء، وقد استولى عليه الكرب الشديد.

ومنذ أن قدم إلى ضفة البحيرة كان يسمع على نحو منتظم أصوات الموسيقى تأتيه من جهة المدينة التي لا تبعد كثيراً عن المكان. سأل العابرين عن الموسيقى، فأخبروه أن ابن «الراجا» كان على وشك أن يتزوج بامرأة فائقة الجمال خرجت من مياه تلك البحيرة ذاتها التي يقف هو على حافتها، وأن الزواج سيتم بعد يومين. استنتج ابن رئيس الوزراء في الحال أن الفتاة الجميلة التي خرجت من البحيرة والتي ستتزوج ليست سوى زوجة صديقه ابن الملك.

عزم أن يذهب إلى المدينة ليعرف تفاصيل الأمر، ويحاول ما أمكن أن ينقذ الأميرة. أخبر المرافقين أن يعودوا إلى موطنهم آخذين معهم الجياد والفيلة، وذهب هو إلى المدينة وأقام في

Twitter: @ketab_n

مسكن «براهماني».

وبعد أن استراح وتناول عشاءه، سأل ابن رئيس الوزراء البراهماني عن معنى الموسيقى التي تُسمع بين الحين والآخر في المدينة. فسأله البراهماني: «من أي جزءٍ من العالم قدمت ما دمت لم تسمع بالظروف السعيدة التي جاءت بفتاةٍ ذات جمالٍ سماوي انبثقت من مياه البحيرة التي في الضواحي وهي الآن على وشك الزواج بعد غد من ابن «الراجا»؟».

«لم أسمع بشيء عن هذا. لقد جئت من بلاد بعيدة لم تصل إليها هذه الأخبار بعد. هلاّ تكرمت وأخبرتني بالتفاصيل؟».

«ذهب ابن الراجا للصيد مثل هذا الوقت من العام الماضي. نصب خيامه قريباً من البحيرة. وبينما هو يتمشى ذات يوم على ضفة البحيرة أبصر فتاةً، أو قل إلهةً، ذات جمال غير مألوف تنبثق خارجةً من المياه. حدَّقت لوهلةٍ ثم اختفت. لكن ابن الراجا الذي أبصرها ذهل من جمالها السماوي فتُيِّم بها إلى أقصى حد، وكان عشقه لها شديداً لدرجةٍ فقد معها عقله، وحُمِل إلى البيت وهو في حالٍ ميؤوس منها. كانت الكلمات الوحيدة التي راح يتلفظ بها هي: كانت الآن هنا! ذهبت الآن! أرسل الراجا في طلب الأطباء لكنهم لم يكونوا

Twitter: @ketab_n

بذي نفع. وأخيرا أعلن الراجا أن يُقرع الطبل في العاصمة وأن من يقدر على شفاء ابنه فسيزوجه ابنته ويهبه نصف المملكة. فتقدمت عجوز تدعى أم فاكر وأمسكت الطبل وأعلنت قدرتها على شفاء ابن الراجا. وعلى ضفة البحيرة التي خرجت منها الأميرة، أقيم كوخ للعجوز، وغير بعيد منها أُعدت خيام للمرافقين الذين يمكن أن يُستدعوا لمساعدتها. يبدو أن الآلهة خرجت من المياه، وأسرتها أم فاكر بمساعدة المرافقين وحملوها أسيرة إلى القصر. ولما أبصرها ابن الراجا استعاد رشده، وكان الزواج سيتم حينها لولا أن الأميرة أقسمت أن لا ترى وجهاً لرجل غير وجه زوجها لمدة عام. وها هو ذا العام قد انقضى، والموسيقى التي تسمعها هي الموسيقى التي تعزف عند بوابة قصر الراجا. تلك هي الحكاية باختصار».

«قصة بديعةٌ حقاً! وهل كوفئت أم فاكر، أو قل هل كوفئ فاكر تشاند نفسه بالزواج من ابنة الراجا وبنصف المملكة؟».

«لا، ليس بعد. فاكر لم يظهر بعد. إنه فتى بنصف عقل، أو قل هو مجنون تماماً. لقد قضى أكثر من عام بعيداً عن بيته، ولا أحد يدري أين هو الآن. هذا هو شأنه، إنه يظل وقتاً طويلاً بعيداً، ثم يعود إلى البيت فجأة، ليختفي ثانية. أعتقد أن أمه تتوقع عودته قريباً».

Twitter: @ketab_n

«كيف هو؟ وما الذي يفعله عندما يعود إلى البيت؟».

«عجباً! طوله مثل طولك، لكنه أصغر سناً منك. وهو يرتدي قطعة قماش حول خصره، ويغطي جسمه بالرماد، ويأخذ فرع شجرة بيده، وبباب الكوخ الذي تسكنه أمه يرقص على نغمة ذوب! ذوب! ذوب!، طريقته في النطق غير واضحة؛ وعندما تقول أمه: فاكر! ابق معي لبضعة أيام، يجيب على الدوام بطريقته غير المفهومة: لا، لن أبقى! لن أبقى!، وعندما يود أن يجيب بالاثبات، يقول: هووووم، التي تعني نعم».

ألقت هذه المحادثة مع البراهماني مزيداً من الضوء في عقل ابن رئيس الوزراء. رأى كيف سارت وتسير الأمور. فهم أن الأميرة التي من القصر السري لابدّ من أنها غامرت بالصعود إلى العالم العلوي بمفردها مستعينة بجوهرة الثعبان ولابدّ من أنها أُسرت وحدها من دون ابن الملك، ولابدّ من أن الجوهرة الآن بحوزة «أم فاكر»، وأن صديقه –ابن الملك– وحيد تحت المياه ولا سبيل له للخروج من هناك. ملأته حال صديقه البائسة بكرب لا يطاق. وظل طوال الليل في توتر وقلق. هل من المستحيل أن ينقذ صديقه من تلك المناطق السفلية؟ وماذا لو استطعت بطريقة ما أن استعيد الجوهرة من المرأة العجوز؟ وهل باستطاعتي أن أمثل دور «فاكر

Twitter: @ketab_n

تشاند» نفسه الذي تتوقع أمه وصوله قريباً؟ بل لعل باستطاعتي أن أنقذ الأميرة من قصر «الراجا» بالطريقة ذاتها.

قرر أن يمثل دور «فاكر تشاند» في اليوم التالي. غادر في الصباح مسكن البراهماني وخرج إلى العراء، وتجرد من ملابسه العادية ووضع قطعة قماش حول خصره غطت بالكاد وسطه إلى ركبتيه، وغطى جسده بالرماد، وأخذ بيده غصن شجرة، وبهذه الصورة قَدِم إلى أمام باب كوخ «أم فاكر». بدأ عملياته بالرقص بطريقة عنيفة على نغمة «ذوب! ذوب! ذوب!». جذب الرقص انتباه الأم العجوز التي قالت مفترضة أن ابنها قد جاء: «ابني، فاكر، هل جئت؟ تعال، يا حبيبي؛ لقد صارت الآلهة راضية الآن عنا».

نطق «فاكر تشاند» المفترض بتلك الصيحة المعهودة: «هووووم» ثم واصل رقصه على نحو أشد من قبل ملوِّحاً بغصن الشجرة الذي في يده. قالت الأم: «عليك هذه المرة أن تبقى معي. لا ينبغي لك أن تذهب».

«لا، لن أبقى. لن أبقى». هكذا ردَّ ابن رئيس الوزراء.

«ابق معي، وسأزوجك بابنة الراجا. هل تتزوج، يا فاكر

Twitter: @ketab_n

تشاند؟» ردَّ ابن رئيس الوزراء:

«هوووم! هوووم!» ثم أخذ يرقص كمجنون.

«هل ستأتي معي إلى قصر الراجا؟ سأريك أميرة ذات جمال استثنائي خرجت من مياه البحيرة».

«هوووم! هوووم!» كان ذلك هو الجواب الذي تلفظت به شفتاه في حين واصلت قدماه الرقص على ايقاع «ذوب! ذوب! ذوب!».

«هل تريد أن ترى مانيك يا فاكر، جوهرة تاج الثعبان، كنز السبعة ملوك؟».

«هوووم! هوووم!».

أخرجت العجوز جوهرة الثعبان من الكوخ ووضعتها في يد ابنها المفترض. أخذها ابن رئيس الوزراء وربطها بقطعة قماش حول خصره. سرَّت «أم فاكر» لظهور ابنها في الوقت المناسب سروراً لا حدّ له، وذهبت إلى قصر «الراجا»، لتعلن له من ناحية مجيء ابنها، ومن ناحية ثانية لتري «فاكر» أميرة المياه. دخل «فاكر» وأمه إلى القصر دون عناء لأن العجوز صارت أهم

Twitter: @ketab_n

امرأة في المملكة. أخذته إلى غرفة الأميرة وقدمته إليها. ولا داعي لوصف مبلغ اغتمام الأميرة برؤية شخص بائس شبه عارٍ وجسده مدهون بالرماد وهو لا يكف عن الرقص بطريقة جنونية.

عند غروب الشمس رأت العجوز أن عليهما مغادرة القصر، والعودة إلى البيت. لكن «فاكر تشاند» رفض أن يمتثل للاقتراح، وقال إنه سيبقى هذه الليلة هنا. حاولت أمه أن تقنعه بالعودة معها، لكنه أصر بعناد على البقاء قائلاً إنه سيبقى مع الأميرة. لذلك ذهبت «أم فاكر» بعد أن أعطت تعليمات للحراس أن يعتنوا بابنها.

ولما أوى كل من في القصر إلى النوم، جاء «فاكر» المفترض إلى الأميرة، وقال بصوته المعهود: «أيتها الأميرة، ألم تعرفيني؟ أنا ابن رئيس الوزراء، صديق زوجك الأمير».

دهشت الأميرة من هذه المفاجأة، وقالت: «من؟ ابن رئيس الوزراء؟ أوه، يا أفضل صديق لزوجي. أنقذني من هذا الأسر المريع، أنقذني من هذه الحال التي هي أسوأ من الموت. يا لبؤس المصير! لقد كانت غلطتي أنا التي أوصلتني إلى هذه الحالة البائسة. أنقذني! أنقذني، يا أعز صديق!»، ثم انفجرت باكية.

Twitter: @ketab_n

قال ابن رئيس الوزراء: «لا تحزني. سأعمل كلَّ ما أستطيع لإنقاذك هذه الليلة، فقط افعلي كلَّ ما أطلبه منك».

«سأفعل ما تأمرني به، يا ابن رئيس الوزراء، كل ما تأمرني به».

بعد ذلك غادر «فاكر» الغرفة، ومرَّ بحرس القصر. اعترضه بعض الحراس، فردَّ عليهم قائلاً: «هووووم، هووووم، سأخرج لوقت قصير وسأعود في الحال». عرفوا أنه «فاكر» المجنون ابن العجوز. عاد حقاً كما قال بعد برهة، وذهب إلى الأميرة. وبعد ساعة خرج واعترضه الحراس فردَّ عليهم بما قال سابقاً. أخذ الحراس يرددون: «فاكر المجنون هذا، يبدو أنه سيظل يدخل ويخرج طوال الليل. دعوه وشأنه، يفعل ما يشاء. من عساه يبقى ساهراً الليل بطوله من أجله؟».

ظل ابن رئيس الوزراء يدخل ويخرج قاصداً أن يجعل الحراس يعتادون على ذلك مترقّباً الفرصة المواتية للهرب مع الأميرة. وحوالى الساعة الثالثة فجراً مرَّ ابن رئيس الوزراء ثانية عبر الفناء، فلم يعترضه أحد لأن الحراس كانوا كلهم قد غرقوا

Twitter: @ketab_n

في النوم. فذهب وقد غمرته الفرحة إلى الأميرة: «والآن، أيتها الأميرة، حان وقت الهرب. الحراس كلهم نائمون. اركبي فوق ظهري واربطي ضفائر شعركِ حول عنقي، وتشبثي بي بقوة».

فعلت الأميرة ما أمرها به. وعبر الفناء بحمله الجميل من دون أن يعترضه أحد، وخرج من البوابة، ولم يعترضه أحد، واجتاز ضاحية المدينة حتى وصل إلى البحيرة التي خرجت منها الأميرة. وقفت الأميرة على قدميها وقد غمرتها البهجة لفرارها، لكنها كانت في الوقت ذاته ترتجف. فك ابن رئيس الوزراء جوهرة الثعبان من قطعة القماش المربوطة في خصره ثم غاصا إلى القصر السري. يمكننا أن نتخيَّل أي استقبال استقبل الأمير زوجته وصديقه. كان قد أوشك على الموت حزناً، لكنه الآن يعاني آلام البعث من جديد. انتابت ثلاثتهم فرحة جنونية. ظلوا في الأيام الثلاثة التي بقوا فيها في القصر يحكون قصة خروج الأميرة إلى العالم العلوي، وحكاية أسرها في القصر، والاستعدادات للزواج، والمرأة العجوز، وابن رئيس الوزراء الممثل لدور «فاكر تشاند» معلنين أنه أفضل وأعظم صديق، وأقسما أن يظلا حتى آخر يوم من حياتهما مطيعين لنصائحه ومشورته.

Twitter: @ketab_n

عزموا على العودة إلى موطنهم، غادر الثلاثة القصر السري، ومسترشدين بضوء الجوهرة سلكوا طريقاً آمنا إلى الأعلى. ولما لم يكن معهم أفيال ولا جياد، لم يكن أمامهم إلا السفر راجلين، وعلى الرغم من أن هذه الطريقة في السفر مرهقة لابن الملك وابن رئيس الوزراء لأنهما عاشا في رفاهية ولم يعتادا على المشاق، لكنها كانت بالنسبة إلى الأميرة أكثر إرهاقاً بسبب خشونة أحجار الطريق:

«حيثما وطأنا

تجرَّح باطن قدميها المخفيتين»

لما كانت تتورّم قدماها، كان ابن الملك يحملها على كتفيه العريضتين. لكن مهما كان الحمل جميلاً فمن الصعب أن يُحمل إلى مسافات طويلة. ولذلك، فقد سافرت معظم الطريق على قدميها.

وفي إحدى الأماسي، استراحوا تحت شجرة حيث لا وجود لأي إنسان. قال ابن رئيس الوزراء للأمير والأميرة: «اذهبا معاً للنوم، وسوف أقوم بحراستكما لأحول دون أي خطر».

وسرعان ما غرق الزوجان في النوم. ولم ينم ابن رئيس الوزراء المخلص، بل جلس يحرسهما. وقد حدث في تلك الشجرة ذاتها

Twitter: @ketab_n

أن كان يتدلى عش الطائرين الخالدين «بيهانجاما وبيهانجامي» اللذين لم يكونا قادرين على التكلم كالبشر فحسب، بل كانا أيضاً يستطيعان التنبوء بالمستقبل. ولدهشة ابن رئيس الوزراء البالغة، جرت بينهما المحاورة التالية وهو يصغي:

قال «بيهانجاما»: «ابن رئيس الوزراء خاطر حتى الآن بحياته من أجل إنقاذ صديقه ابن الملك؛ لكنه سيجد صعوبة في إنقاذه أخيراً». سألت «بيهانجامي»: «ولماذا؟»

«أخطارٌ كثيرة تنتظر ابن الملك. حين يعلم والد الأمير باقتراب ابنه، سيرسل له فيلاً وبعض الجياد والمرافقين. وعندما يركب ابن الملك الفيل سوف يسقط ويموت».

«لكن، افترض أن أحداً يمكن أن يحول دون ركوبه الفيل، ويجعله يركب جواداً، ألن يكون في أمان حينها؟».

«نعم، بهذه الطريقة سيتحاشى الخطر، لكن خطراً آخر يترصده. حين يكون ابن الملك على مرآى من قصر أبيه، وعندما يعبر من بوابة الأسد، ستسقط البوابة عليه وتسحقه حتى الموت».

«لكن، افترض أن أحداً حطَّم البوابة قبل أن يعبر منها ابن الملك، ألن يكون حينها في مأمن؟».

Twitter: @ketab_n

«نعم، حينها سيكون في أمان من ذلك الخطر، لكن خطراً آخر ينتظره. فحين يصل ابن الملك إلى القصر ويجلس لتناول الوليمة التي أعدت له، فما إن يأخذ إلى فمه رأس سمكة أعدّت من أجله حتى يعلق الرأس في حلقه ويختنق ويموت».

«لكن افترض أن أحداً يجلس بجواره خطف من صحنه رأس السمكة وحال بذلك دون أن يتناولها ابن الملك، ألن يكون حينها في أمان؟».

«نعم، سينجو حينها من هذا الخطر، غير أن خطراً آخر يتهدّده. فحين يأوي الأمير والأميرة للنوم بعد العشاء، وبينما هما مستلقيان في سريرهما، ستدلف أفعى مريعة إلى حجرتهما وتعض ابن الملك فيموت».

«لكن، افترض أن أحداً بقي مستلقياً في الحجرة ثم قطَّع الأفعى إرباً، ألن يكون ابن الملك في أمانٍ حينها؟».

«نعم، في هذه الحال ستكون حياة ابن الملك في أمان، لكن لو أن الرجل الذي قتل الأفعى أعاد الحوار الذي سمعه بينك وبيني إلى ابن الملك، فإن ذلك الرجل سيتحوَّل إلى تمثال من الرخام».

«لكن، ألا توجد طريقة لاستعادة حياة تمثال الرخام؟».

Twitter: @ketab_n

«نعم، يمكن لتمثال الرخام أن يستعيد الحياة إن هو غُسِل بدم رضيع حيّ ستلده الأميرة، وتعلن بشارة ميلاده إلى العالم».

وهكذا تواصل حديث الطائرين النبوئي حتى صاح الديك معلناً انبلاج الصباح بعد أن اصطبغ الأفق بجمرة الشمس، وتحرك النائمان تحت الشجرة مستيقظين. حينها توقف الطائران عن الحديث، لكن ابن رئيس الوزراء كان قد سمعه كله.

واصل الثلاثة رحلتهم في الصباح، لكنهم لم يسيروا سوى ساعات حتى قابلوا موكبا مؤلفاً من فيل وجواد ومحفة وحشد كبير من المرافقين. كانت جموع الحيوانات والناس قد أرسلت بواسطة الملك الذي سمع أن ابنه مع زوجته الجديدة وصديقه ابن رئيس الوزراء قد اقتربوا من العاصمة عائدين. قُدِّم الفيل البالغ التزيين للأمير، والمحفة التي كانت مؤطّرةً بالفضة ومزينة بزينة مبهرجة كانت خاصةً بالأميرة، في حين كان الجواد لابن رئيس الوزراء. ولما أوشك الأمير أن يركب الفيل، اقترب منه صديقه وقال له: «اسمح لي أن أركب الفيل، واركب أنت الجواد، لو سمحت».

لم يستغرب الأمير مطلقاً من هذا العرض البارد. لقد ظن أن

Twitter: @ketab_n

صديقه قد بالغ في الجرأة معتمداً على خدماته التي قدمها له. لذلك شعر بالغيظ لكنه تذكر أن صديقه أنقذه هو وزوجته، فلم يقل شيئاً، بل امتطى الجواد بصمت على الرغم من أن تفكيره شتّ في هذه المسألة.

واصل الموكب سيره وبعد فترة بدا منظر القصر، وكانت بوابة الأسد قد زُينت تزييناً باذخاً ليدخل منها الأمير والأميرة. قال ابن رئيس الوزراء إنه يجب تدمير البوابة قبل أن يدخلا منها. دهش الأمير من هذا الاقتراح خصوصاً أن ابن رئيس الوزراء لم يقدِّم سبباً لمثل هذا الطلب العجيب. ازداد استغرابه، لكن، مراعاة لخدمات ابن رئيس الوزراء له، نُفِّذ طلبه، ودمرت البوابة بكل ما فيها من زينة رائعة. بعدئذ دلفت المجموعة إلى القصر حيث استقبلت استقبالاً رائعاً من قبل الملك. وعندما حكيت قصتهم ومغامراتهم، أظهر الملك وحاشيته دهشتهم العظيمة، وصاحوا كلهم بصوت واحد مهللين مادحين ذكاء ابن رئيس الوزراء وحصافته وإخلاصه. أما نساء القصر فقد أذهلهن جمال الأميرة، كان لون بشرتها أشبه بلون الحليب واللون الأرجواني وقد خلطا معاً، وكان عنقها أشبه بعنق البجعة، وعيناها أشبه بعيني غزالة، وكانت شفتاها حمراوين مثل الكرز، يا إلهي ما

Twitter: @ketab_n

كان أجمل خديها! كذلك أنفها كان مستقيماً رفيعاً، أما شعرها فقد بلغ عقبيها وكانت مشيتها رشيقة مثل فيل صغير. كانت تلك هي الكلمات التي ترددت واصفة جمال الأميرة التي جاءت بها الأقدار إليهم.

جلسن حولها وانهلن عليها بألف سؤال وسؤال، عن أبويها، وعن القصر السري، الذي عاشت فيه، وعن الثعبان الذي التهم كل أفراد اسرتها وأقاربها. ثم حان الوقت الذي على القادمين الجدد أن يتناولوا فيه عشاءهم. قدِّم العشاء في أطباق ذهبية، وقدمت أصناف الطعام الشهي، ومن بينها وأشهرها كان رأس سمكة كبيرة وضع في طبق ذهبي أمام الأمير. وبينما هم يأكلون، اختطف ابن رئيس الوزراء فجأة رأس السمكة من طبق الأمير، وقال: «اسمح لي، أيها الأمير، أن آكل رأس الروهيتا هذا».

كان ابن الملك قد صار ساخطاً، لكنه لم يقل شيئاً. فهم ابن رئيس الوزراء أن صديقه في غاية الغضب، لكنه أبى إلا أن يتصرف هكذا مهما كان تصرفه غريباً فهو ضروري لإنقاذ حياة صديقه. ولم يستطع بطبيعة الحال أن يفسِّر سلوكه لأنه هو نفسه سيتحول إلى تمثالٍ من الرخام.

انتهى العشاء، وأفصح ابن رئيس الوزراء عن رغبته في الذهاب

Twitter: @ketab_n

إلى بيته. في وقت آخر غير هذا ما كان ابن الملك ليسمح لصديقه أن يذهب على هذا النحو، لكنه وقد تضايق من تصرفاته الغريبة، وافق على اقتراحه على الفور. مهما يكن، فإن ابن رئيس الوزراء لم تكن لديه أدنى نية للذهاب إلى بيته، إذ كان عازماً على أن يجنِّب صديقه آخر الأخطار التي تتهدده. ولذ فقد انسلَّ خفية ومعه سيفه إلى الحجرة التي سينام فيها الأمير والأميرة في تلك الليلة ذاتها وأخفى نفسه تحت السرير الذي فُرش بفراش محشو بالزغب وفوقه ظلَّةٌ من الحرير الغالي وشرائط الذهب تحميهما من البعوض.

وما إن فرغا من العشاء حتى ذهب الأمير والأميرة إلى حجرتهما وخلعا أثوابهما وأويا إلى السرير. وفي منتصف الليل، وبينما العروسان الأميريان نائمان، أدرك ابن رئيس الوزراء الأفعى العملاقة وهي تدخل الغرفة من أحد ممرات الماء متسلقةً إطار ظلَّة السرير. هبَّ من مخبئه وقتلها وقطَّعها إرباً ووضع القطع في طبق لوضع أوراق التنبل والبهارات.

على أي حال، بينما كان ابن رئيس الوزراء يقوم بكل ذلك، فقد حدث أن سقطت قطرة دم على صدر الأميرة إذ لم تكن ستارة البعوض قد أرخيت كما يجب. ولخشيته من أن تؤذي

Twitter: @ketab_n

قطرة الدم الأميرة، صمَّم على أن يلعقها بلسانه. لكنه اعتبر أن من الإثم العظيم أن ينظر إلى فتاة شابة تنام نصف عارية، فربط عينيه بقطعة قماش مطوية سبع طيات ثم لعق قطرة الدم. لكن بينما يفعل ذلك، استيقظت الأميرة وصرخت فأيقظ صراخها زوجها الراقد إلى جوارها. ولما رأى الأمير ابن رئيس الوزراء، الذي ظنه في بيته، وهو منحن فوق جسد زوجته، استشاط غضباً، ونهض يريد قتله لو لم يبادر ابن رئيس الوزراء إلى تهدأته قائلاً: «أيها الصديق، لم أفعل ذلك إلا لكي أنقذ حياتك».

«أنا لا أفهم ما تعنيه. منذ أن خرجنا من القصر السري وأنت تتصرف بطريقة شديدة الغرابة. ففي المقام الأول حُلْتَ بيني وبين ركوب الفيل المزين، مع أن أبي الملك أرسله لي أنا. قلتُ، لا بأس نظراً لخدماتك التي قدمتها لي، فليكن، وركبت الجواد بدلاً عن الفيل. وفي المرة الثانية أصررت على تحطيم بوابة الأسد التي زيَّنها أبي زينةً رائعة بهيجة، ووافقت عل ذلك أيضاً. ثم، مرة ثالثة، ونحن نتعشى، خطفت بطريقةٍ معيبةٍ مخجلة رأس السمكة من طبقي والتهمتها أنت، ظانّاً دون شك أنك تستحق من الشرف ما لا أستحقه أنا. ثم تظاهرت بعد ذلك أنك ذاهب إلى بيتك، فلم آسف مطلقاً لذهابك، بعد كل ما فعلته من معاندات لي. وها

Twitter: @ketab_n

أنت الآن في غرفة نومي، منحنياً على صدر زوجتي العاري. لابدّ من أنك قد خططت لشيءٍ جهنمي وها أنت تتظاهر بأنك فعلت ذلك لتنقذ حياتي. أستطيع أن أرى أن ذلك لم يكن لإنقاذ حياتي بل لتحطيم عفاف زوجتي».

«أوه، يا صديقي، لا تسمح لمثل هذه الأفكار أن تنفذ إلى عقلك ضدي. الآلهة تعلم أني فعلت كل ذلك من أجل الحفاظ على حياتك. لسوف ترى صوابية تصرفاتي لو أن لي الحرية في أن أقدِّم أسبابي».

«ولماذا لست حرّاً في تقديم الأسباب؟ من الذي أوصد فمك؟».

«إنه القدر الذي أغلق فمي. ولو أني حدثتك بكل شيء لاستحلتُ إلى تمثال من الرخام».

«أنت ستتحول إلى تمثال من الرخام! لعلك تحسبني مغفلاً إذ تريدني أن أصدق كل هذا الهراء».

«أتريدني، يا صديقي، أن أحكي لك كل شيءٍ، إذن؟ إن عليك أن تقرر إن كنت تود رؤية صديقك وقد تحوَّل إلى حجر».

Twitter: @ketab_n

«هيَّا تحدَّث، وإلاّ فإنك ميت لا محالة».

ولكي يبرئ ابن رئيس الوزراء نفسه من الاتهامات الجائرة الموجهة ضده، رأى أن من واجبه أن يبوح بالسر مخاطراً بحياته. حذَّر الأمير مراراً ألا يضغط عليه. لكن الأمير ظل على عناده لا يلين. عندئذ أخذ ابن رئيس الوزراء يتحدث قائلاً إنه لما كان ثلاثتهم يستريحون تحت الشجرة العالية ذات ليلة، سمع حديث الطائرين «بيهانجاما وبيهانجامي» الذي تنبأ فيه الأول بكل المخاطر التي كانت تتهدد حياة الأمير. ولما كان ابن رئيس الوزراء يحكي النبوءة الخاصة بركوب الفيل، استحالت أطرافه السفلى إلى حجر. فاستدار إلى الأمير قائلاً: «انظر، يا صديقي، ها هي ذي أطرافي السفلى قد استحالت إلى حجر».

«واصل، واصل حكايتك».

عندئذ حكى ابن رئيس الوزراء النبوءة الخاصة بتحطيم بوابة الأسد، فتحوَّل نصف جسده إلى حجر. ثم حكى نبوءة أكل رأس السمكة فصار جسده إلى رقبته حجراً. قال:

«والآن، يا صديقي، لقد صار جسدي كله حجراً ما عدا رقبتي ورأسي، إن حكيت البقية سأستحيل كلي إلى إنسان من

Twitter: @ketab_n

الحجر. هل تود مني أن أواصل؟».

«واصل، واصل».

«حسناً جداً. لسوف أواصل حتى النهاية، لكن إن أنت ندمت بعد أن أستحيل إلى حجر ثم أردت أن تستعيد حياتي، فسأخبرك بالطريقة التي تستطيع بها تحقيق ذلك. الأميرة ستلد بعد بضعة أشهر طفلاً، إن أنت قتلت الطفل فور ولادته وغسلت الجسد الرخام بدمه، فسوف أستعيد حياتي».

ثم حكى النبوءة الخاصة بالأفعى التي في الحجرة، وحين كانت آخر كلمة على شفتيه صار جسده كله حجراً، ووقف أرضاً تمثالاً من الرخام.

قفزت الأميرة من السرير، وفتحت طبق التنبل والبهارات فأبصرت قطع الأفعى. اقتنع الأمير والأميرة الآن بإخلاص صديقهما الراحل وأمانته. اقتربا من تمثال الرخام، فكان بلا حياة. أطلقا النواح، لكن دون جدوى، لأن تمثال الرخام لم يتحرك. عندئذٍ، قررا أن يحتفظا بالتمثال في مكان خفي آمن حتى يغسلاه بدم المولود الجديد حين يولد إلى الوجود.

مر الوقت، وحان أوان مخاض الأميرة فولدت ولداً جميلاً

Twitter: @ketab_n

هو نسخة كاملة من أمه. ذهل الأب والأم من جمال المولود، وكم كانت سعادتهما به لو أبقياه على حياته، لكنهما تذكرا قسمهما لأعز صديق لهما الذي يرقد في ركن الحجرة بلا حياة، وخدماته لهما التي لا تقدر بثمن، فشقا الرضيع نصفين ودهنا التمثال بدمه.

صار التمثال الحجري إنساناً على الفور. ووقف ابن رئيس الوزراء أمام الأمير والأميرة اللذين غمرتهما الفرحة وهما يريان صديقهما القديم من جديد. لكن ابن رئيس الوزراء حين رأى الرضيع الجميل غارقاً في الدماء، غشيه الحزن الشديد. أخذ الرضيع ومسحه برفق بمنشفة وعزم على أن يعيده ثانية إلى الحياة.

استشار ابن رئيس الوزراء كلَّ الأطباء في البلاد عن السبيل لتحقيق غايته في استعادة حياة الرضيع، لكنهم قالوا إنهم سيتولون شفاء أي مريض من أي مرض طالما ظلت فيه حياة، أما حالة هذا الرضيع فإنها أبعد من قدرتهم. عندئذ فكر ابن رئيس الوزراء بزوجته هو التي كانت تعيش في مدينة بعيدة، والتي تعتبر عابدة مخلصة للإلهة «كالي»، والتي من خلال شفاعتها يمكن أن يستعيد الرضيع الميت حياته.

Twitter: @ketab_n

انطلق في رحلته إلى المدينة التي تقيم فيها زوجته في منزل أبيها. بجانب ذلك المنزل حديقة، علّق على شجرةٍ فيها الرضيع الميت ملفوفاً بمنشفة. سرَّت المرأة سروراً بالغاً حين رأت زوجها بعد طول غياب، لكنها استغربت حين رأت زوجها مغموماً مكروباً حتى إنه لم يتكلم إلا قليلاً، وبدا مشغول البال حول أمرٍ ما. سألته عن سبب كربه، لكنه ظل صامتاً. وبينما هما مستلقيان في فراشهما ذات ليلة، نهضت الزوجة وفتحت الباب وخرجت. أدرك الزوج الذي لم ينم جيداً طوال تلك الليالي بسبب قلقه على الرضيع الميت، أن زوجته خرجت في تلك الساعة من الليل، فعزم على أن يلحق بها من دون أن تدري. أما هي فذهبت إلى معبد «كالي» الذي لم يكن بعيداً من المنزل. قدمت للإلهة الزهور وأشعلت البخور وقالت: «أيتها الأم كالي، ارحميني، وحرريني من كل متاعبي!». ردت الإلهة: «لماذا، ما هي المتاعب التي تعانين منها؟ لقد تضرّعتِ من قبل من أجل عودة زوجك، وها هو قد عاد؛ فما الذي تعانينه الآن؟». ردَّت المرأة: «صحيح يا أمّاه، لقد عاد زوجي إليَّ، لكنه محزون مكروب ولا يتحدث إليّ إلا بالكاد، ولا يجد فيَّ أية مسرة، بل يجلس هادئاً متألماً في ركن الغرفة».

Twitter: @ketab_n

وعلى ذلك ردَّت الإلهة: «اسألي زوجك ما سبب غمِّه، ثم أخبريني».

سمع ابن رئيس الوزراء الحديث بين الإلهة وزوجته، لكنه لم يُظهر نفسه؛ بل انسل مبتعداً وسبق زوجته إلى السرير. وفي اليوم التالي، سألته الزوجة عن سبب قلقه وغمِّه، فأخبرها بكل التفاصيل المتعلقة بقتل الرضيع ابن الأمير. وفي الليلة التالية خرجت الزوجة في تلك الساعة المتأخرة ذاتها وذهبت إلى معبد «كالي» وذكرت للإلهة سبب اغتمام زوجها، فردت: «أحضري الرضيع إلى هنا وسأعيد له حياته».

وفي الليلة التالية، جيء بالرضيع إلى الآلهة «كالي»، فدعته للعودة إلى الحياة. أخذ ابن رئيس الوزراء الرضيع وقد استولت عليه نشوة الفرح وهبَّ بأسرع ما يستطيع حاملاً إياه إلى الأمير والأميرة، ثم سلمهما طفلهما حيّاً سليماً معافى. غشيهما الفرح البالغ، وعاشا في سعادة حتى آخر حياتهما.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

Twitter: @ketab_n

البراهماني الساخط

عاش أحد البراهمانيين مع زوجته وأولاده الأربعة. كان فقيراً جداً، ولم يكن له مصدر في الدنيا يعيش منه سوى الصدقات. واقتصر دخله بشكل رئيسي على الأعراس أو المآتم، لكن أبناء طائفته لا يتزوجون كل يوم ولا يموتون كل يوم، وقد وجد صعوبة بالغة في أن يوفق بين هذين الأمرين. كانت زوجته توبّخه وتسخر منه لعجزه في معظم الأوقات، وتعيره بعدم قدرته على إعالة أطفاله الجائعين العراة.

مهما يكن، فإنه على الرغم من فقره، كان إنساناً صالحاً مخلصاً ومواظباً على الشعائر، إذ لم يمر يومٌ واحد في حياته لم يؤد فيه صلواته في وقتها المحدد. وكان معبوده المقدس الإلهة «دورجا» زوجة «شيفا»، طاقة الكون الخلاقة. ولم يحدث أن شرب يوماً ماءً أو ذاق طعاماً قبل أن يكتب بالقلم الأحمر اسم «دورجا» مئة وثماني مرات، على الأقل، وطوال يومه كله يردِّد دون توقف، «يا دورجا! يا دورجا! منِّي عليّ برحمتك». وكلما

Twitter: @ketab_n

شعر بالقلق بسبب فقره وعجزه عن إعالة زوجته وأطفاله، كان يئن ويتأوّه مردِّداً: «دورجا! دورجا! دورجا! دورجا!».

وذات يوم انتابه غمّ شديد فذهب إلى الغابة التي تبعد عن قريته أميالاً عديدة، وأطلق لحزنه العنان وانخرط يبكي بحرقة متضرعاً بالكلمات التالية: «يا دورجا! يا أم بهاجواتي! ألن تضعي حدّاً لبؤسي؟ لو كنت وحيداً في هذه الدنيا، لما حزنت بسبب فقري، لكنك قد وهبتني زوجةً وأطفالاً. فامنحيني أيتها الأم الوسيلة لإعالتهم».

وقد حدث في ذلك اليوم نفسه، وفي البقعة ذاتها أن الإله «شيفا» وزوجته «دورجا» كانا يقومان بنزهتهما الصباحية. ولما أبصرت الإلهة «دورجا» البراهماني من بعيد، قالت لزوجها المقدس - «يا إله كيلاس! ألا ترى ذلك البراهماني؟ إنه يردِّد اسمي على الدوام، ودائما يتضرع إليَّ طالباً أن أحرره من متاعبه. هلا فعلنا شيئاً يا مولاي، لهذا البراهماني الشقيّ المثقل بهمِّ أسرته؟ إن علينا أن نمنحه ما يكفيه ويريحه هو وأسرته التي لا يجد هذا المسكين ما يكفي لإعالتها، أرى أن تعطيه قِدراً يستمدّ منها ما شاء من الأرز المطبوخ».

Twitter: @ketab_n

وافق إله «كيلاس» على اقتراح زوجته المقدسة، وأمر في البقعة ذاتها بقِدر بتلك المواصفات. نادت «دورجا» البراهماني، فقدِم إليها. قالت له: «أيها البراهماني! لطالما فكرت بحالتك الجديرة بالشفقة. توسلاتك المتكررة أثّرت فيّ في النهاية. هاك قِدراً. عندما تقلبها وتهزها ستنثال منها عصيدة الأرزّ اللذيذة من دون انقطاع حتى تعيدها إلى وضعها الصحيح. تستطيع أنت وزوجتك وأطفالك أن تأكلوا من هذه العصيدة ما تشاءون، كما يمكنك أن تبيع منه أي كمية تريدها».

طار البراهماني فرحاً بنيله تلك القِدر التي لا تقدّر بثمن. انحنى شاكراً للإلهة، وحمل القِدر وقفل عائداً إلى البيت بأسرع ما تسعفه قدماه. لكنه لم يقطع سوى مسافة قصيرة حتى عنَّ له أن يجرب فعالية القدر العجيبة. فقلبها رأساً على عقب وهزَّها، ويا للدهشة! انثالت كمية من عصيدة الأرز إلى الأرض لم يسبق له أن شاهد مثلها في حياته. حمل القدر وسار في طريقه.

انتصف النهار وشعر البراهماني بالجوع، لكنه أبى أن يأكل قبل أن يتوضأ ويصلي. ولما أبصر نُزلاً في الطريق وعلى مقربة منه بركة ماء، قرر أن يتوقف هناك ويتوضأ ويصلي ثم يتناول عصيدة الأرز اللذيذة. جلس البراهماني في دكان صاحب النُّزل، ووضع

Twitter: @ketab_n

قدره بجانبه، ودخن تبغه، ودهن جسمه بزيت الخردل، وقبل أن يتوجه إلى البركة للاستحمام أعطى القِدر لصاحب النزل وترجاه بشدة أن يحافظ عليها ويوليها عناية خاصة.

ولما ذهب البراهماني ليتوضأ ويصلي، استغرب صاحب النزل من تشديد البراهماني عليه ليحرص على سلامة قدرٍ من الطين. لابد من أنها ذات قيمةٍ ما، وإلا لماذا يشغل البراهماني باله بها كل ذلك الانشغال؟ تضاعف فضول الرجل وفتح القدر، ولدهشته البالغة، وجدها فارغة. ما معنى هذا؟ ما الذي يجعل البراهماني يحرص على القدر الفارغة حرصاً شديداً؟ رفع القدر وأخذ يتفحصها بعناية، وبينما هو يقلِّب الوعاء على جوانبه، انثالت كمية من حلوى الأرز على الأرض من دون توقف. نادى صاحب النزل زوجته وأطفاله ليشهدوا ذلك الحظ السعيد غير المتوقع. تواصل شلال الحلوى الرائع حتى ملأ كل الأوعية والجرار.

قرر صاحب النزل أن يحتفظ بهذه القدر الثمينة لنفسه، فوضع مكانها قدراً شبيهة بها وأخفى قدر البراهماني. وبعد أن فرغ الأخير من صلواته، رجع إلى دكان صاحب النزل.بملابسه المبلولة وهو يتمتم نصوصه المقدسة من «الفيدا». ارتدى ملابس جافة، وكتب على ورقة اسم «دورجا» بالقلم الأحمر

Twitter: @ketab_n

مئة وثماني مرات، ثم أفطر بحلوى الأرز التي منحته إياها قدره سابقاً. استعاد نشاطه وأشبع جوعه، وعزم على مواصلة طريقه إلى البيت. طلب من صاحب النزل أن يأتيه بقدره، فأعطاه إياه قائلاً: «ها هي قِدرك، يا سيدي، ما زالت حيثما وضعتها أنت لم يمسسها أحد».

أخذ البراهماني القدر من دون أن يخالجه أي شك، ومضى، وبينما هو سائرٌ هنّأ نفسه على ما أصابه من حظ فريد، وحدّث نفسه قائلاً: «كم ستندهش زوجتي وتبدّل من سلوكها المشاكس معي! وبأي نهم سيهجم الأطفال على الأرز السماوي اللذيذ! لا شك في أني سأصير ثريّاً بلمح البصر، وسأرفع رأسي عليهم أجمعين من الآن فصاعدا». أعانته فرحة توقعاته على متاعب سفره.

وصل إلى البيت واستدعى زوجته وأطفاله، وقال لهم: «انظروا الآن ما أحضرت لكم. هذه القدر التي ترونها أمامكم هي مصدر للثراء والكفاية لا يخيب. لسوف ترون جدول العصيدة يتدفّق منها حين أقلبها رأساً على عقب».

سمعت زوجة البراهماني المسكينة عن العصيدة التي تنسكب دون انقطاع من القِدر، فظنت أن زوجها فقد عقله،

Twitter: @ketab_n

وزاد يقينها عندما لم تجد شيئاً ينزل من القِدر المقلوبة على الرغم من أنه قد ظل يهزها ويقلبها مراراً.

استولى على البراهماني الحزن الشديد، واستنتج أن صاحب النزل لعب عليه حيلة، ولابدّ من أنه سرق القِدر السحرية، واستبدلها بأخرى عادية. عاد إلى الرجل في اليوم التالي واتهمه بتبديل القِدر التي ائتمنه عليها. فأظهر صاحب النزل علامات الغضب الشديد والدهشة من اتهام البراهماني له بالسرقة وطرده.

عندئذٍ فكر البراهماني بمقابلة الإلهة «دورجا» التي وهبته القدر، فذهب إلى الغابة حيث قابلها. وأكرمه «شيفا» و«دورجا» مرةً ثانية بالمقابلة. قالت له «دورجا»: «إذن، أضعت القِدر التي أعطيتك. هاك قِدراً أخرى. خذها وأحسن استخدامها».

شعر البراهماني بالفرحة توشك أن ترفعه إلى عنان السماء، انحنى إجلالاً للإله «شيفا» والإلهة «دورجا»، وأخذ القِدر وسار في طريق العودة. لم يسر طويلاً حتى قلب القدر رأساً على عقب ثم هزَّها كي يرى إن كان الأرز السماوي سيتساقط منها. ولكن، يا للهول! بدلاً من العصيدة اللذيذة، انطلق عشرون شيطاناً هائلاً لهم ملامح متجهمة وانهالوا على البراهماني باللكمات والصفعات والعصيّ. لحسن حظه أنه لم يفقد عقله

Twitter: @ketab_n

إذ سارع إلى قلب الوعاء وتغطيته حين اختفت الشياطين فيه. استنتج أن هذه القدر الجديدة قد أعطيت له فقط لكي يعاقب بها صاحب النزل.

ذهب مباشرة إلى صاحب النزل وأعطاه القدر الجديدة، ورجاه أن يهتم بها حتى يفرغ من وضوئه وصلاته. سرَّ صاحب النزل من هبة الآلهة الجديدة، ونادى زوجته وأطفاله، وقال: «هذه قدر جديدة جاء بها البراهماني ذاته الذي أحضر القدر السابقة التي تسقط منها العصيدة. آمل هذه المرة أن يسقط من هذه القدر الثريد المحلىّ بدلاً من العصيدة. تعالوا، استعدوا بالأوعية والجرار، وسأقلب القدر رأساً على عقب ثم أهزّها».

لم يكد يفعل ذلك حتى قفز من القدر عشرون شيطاناً رهيباً قوياً وهجموا على صاحب النزل وأسرته ضرباً ولطماً وركلا بلا شفقة أو رحمة. كما شرعوا يعيثون في الدكان والنزل تحطيماً وتكسيراً ولو لم يسرع الضحايا في العثور على البراهماني والتوسل إليه أن يكف هؤلاء لما أبقوا على شيء. كان البراهماني قد فرغ من صلاته فرجوه أن يكف الشياطين عما كانوا يفعلونه. وافق البراهماني على طلب صاحب النزل

Twitter: @ketab_n

على أن يعيد له قدره الأولى، وهكذا كان. استعاد القدرين وعاد بهما إلى قريته.

حين وصل إلى البيت، أوصد بابه، وقلب قدر الأرز وهزَّها، وكانت النتيجة شلالاً من العصيدة الشهية التي لا يمكن لأي حلواني في البلاد أن يصنع مثلها. التهم الرجل وزوجته وأطفاله العصيدة حتى امتلأت بطونهم، ثم ملأوا كل الأوعية التي لديهم، وقرر البراهماني في اليوم التالي أن يتحوَّل إلى حلواني وجعل من منزله دكاناً لبيع العصيدة. أقبلت القرية كلها في اليوم ذاته لتشتري حلوى البراهماني الرائعة التي لم يسبق لهم أن ذاقوا مثلها في حياتهم. كانت جد لذيذة، شديدة البياض دسمة وما من حلواني في قرية أو مدينة في البلاد كلها قد صنع حلوى بهذه الجودة. بلغت شهرة حلوى البراهماني في بضعة أيام آفاقاً بعيدة، فأقبل الناس من مناطق بعيدة يشترونها. كانت أحمال عربات منها تباع كل يوم، وصار البراهماني خلال وقت قصير فاحش الثراء. بنى منزلاً جديداً من القرميد وعاش مكرَّماً معزَّزاً مثل وجهاء البلاد.

مهما يكن، فقد أوشكت ثروته وأملاكه كلها أن تستحيل إلى دمار تام حين أخطأ أطفاله وهزوا قدر الشياطين وقلبوها، فسقط عدد كبير من الشياطين الهائلة وأمسكوا بزوجة البراهماني وأطفاله

Twitter: @ketab_n

وأخذوا يضربونهم ضرباً مبرحاً ولحسن الحظ أن البراهماني أقبل في الوقت المناسب إلى البيت، وقلب القدر وحال دون الكارثة. ولكي يتجنب تكرار هذه المأساة مستقبلاً، حفظ قِدر الشياطين في مكان خاص لا تصل إليها أيدي أطفاله.

بيد أن النعيم الدائم الذي لا تشوبه شائبة ليس من سمات البشر الفانين، فعلى الرغم من أن قدر الشياطين ظلت في حرزٍ حريز، فأي أمان كان يمكن أن يحول دون وقوع الأذى الذي حل بقدر الأرز؟ ففي أحد الأيام، وفي غياب البراهماني وزوجته عن البيت، قرر الأطفال أن يهزوا القدر، وأراد كل واحد منهم أن يستمتع بهزِّها فتشاجروا وتخاصموا، وفجأةً سقطت القدر أرضاً فانكسرت. ولما عاد البراهماني علم بطبيعة الحال بالمصيبة التي حلت به، فغشيه حزن لا يوصف. نال الأطفال جزاءهم، لكن أي عقاب ما كان ليعوِّض القدر السحرية.

وبعد أيام من الحزن والتحسر، قرر البراهماني أن يذهب ثانية إلى الغابة، ويتضرع إلى «دورجا» راجياً أن تمنَّ عليه بهبةٍ ما. ظهر «شيفا» و«دورجا» في نهاية الأمر وسمعا كيف كسرت القدر. أعطته «دورجا» قدراً أخرى ومعها

Twitter: @ketab_n

التحذيرات التالية: «أيها البراهماني، احرص على هذه القدر، ولو كسرتها مرةً ثانية أو أضعتها فلن أعطيك غيرها».

انحنى البراهماني إجلالاً وقفل عائداً إلى البيت من دون أن يتوقف لحظةً واحدة في أي مكان. ولما وصل إلى البيت، أغلق الباب ودعا زوجته إليه، وقلب القدر وبدأ يهزها. كانا يتوقعان انسكاب العصيدة منها، لكن، بدلاً من ذلك، انسكبت منها خثارة اللبن؛ ويا لها من خثارةٍ حلوة لذيذة! ما من حلواني في سوق «بورّا» قد صنع مثلها. لقد كانت أشبه بطعام الآلهة منها بطعام البشر. وعلى الفور افتتح البراهماني دكاناً لبيع هذا الطبق الشهي النادر. جلبت شهرة المكان حشود الناس من كل أنحاء البلاد. وفي كل الأعراس والمآتم وفي كل الاحتفالات الدينية، لم يكن أحد يشتري خثارة لبن غير خثارة البراهماني. وفي كل يوم، وفي كل ساعةٍ كانت الجرار والأوعية الهائلة الحجم تملأ بتلك الحلوى المدهشة، ثم ترسل إلى أطراف البلاد.

أثارت ثروة البراهماني حسد حاكم القرية الذي علم أن تلك الحلوى لم تكن تصنع صناعة بل كانت تنصبُّ من قِدرٍ ما، فدبَّر مكيدةً يحصل بها على تلك القدر العجيبة. وفي حفل زواج ابنه أقام وليمة عظيمة دعا إليها مئات الناس.

Twitter: @ketab_n

ولما كانت جبال من الحلوى مطلوبة لكل أولئك المدعوين، فقد رأى الحاكم أن يأتي البراهماني بقدره السحرية إلى البيت الذي أقيمت فيه الحفلة.

رفض البراهماني في البداية، لكن الحاكم أصرَّ على أن تحمل القدر إلى منزله، فأخذها على مضض. وبعد أن أعد الحلوى، استولى الحاكم على القدر، وأهان البراهماني ثم طرده من منزله شر طردة.

لم يُظهر البراهماني أدنى إشارة للحنَق من هذه المعاملة، بل انسحب بهدوء إلى بيته، وأخرج وعاء الشياطين وحمله وعاد إلى منزل الحاكم. قلب الوعاء وهزّه وانطلق مئة شيطان وبدأوا عملاً نظيفا محكماً محدثين مشهداً يصعب وصفه. مئات الضيوف الذين حضروا الحفل قبض عليهم الزوار القادمون من عالم آخر وأخذوا يضربونهم بلا شفقة، وسحبت النساء من شعورهن وأخرجن من حجرات الحريم واختلطن بالرجال. أما الحاكم الفظ فسُحب من حجرة إلى حجرة مثل بالة قطن.

ولو أن الشياطين قد تُركوا لبضع دقائق فقط لينجزوا عملهم كما يريدون، لكان الناس كلهم قد لقوا حتفهم، ولأحيل المنزل

Twitter: @ketab_n

إلى ركام. ركع الحاكم عند قدمي البراهماني وتوسل إليه أن يرأف به. رأف به البراهماني وسحب الشياطين. بعد تلك الحادثة لم يعد أحد يزعج البراهماني لا الحاكم ولا غيره، وعاش سنوات عديدة في سعادة تامة.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة... إلخ

Twitter: @ketab_n

حكاية «الراكشاساس» أكلة اللحوم

عاش براهماني فقير نصف مخبول مع زوجته ولم يرزقا بأي أطفال. كان من العسير عليه أن يوفر حاجياته المعيشية له ولزوجته. والأسوأ من ذلك أنه كان كسولاً فاتر الهمة. كان يحجم عن القيام بأي رحلات طويلة وإلا لنال ما يكفيه من عطايا من أولئك الأثرياء تمكنه وزوجته من العيش المريح.

في ذلك الوقت، كان في البلاد المجاورة ملك يقيم لأمه مأتماً مهيباً. كان البراهمانيون والشحاذون يتوافدون عليه من كل مكان متوقعين أن ينالوا عطاياه القيِّمة. طلبت زوجة صاحبنا منه أن ينتهز الفرصة ويذهب للحصول على بعض المال. بيد أن كسله المتأصِّل وقف حائلاً دون موافقته. غير أنَّ المرأة لم تدع لزوجها فرصة، وظلت تلح عليه وتحثه حتى انتزعت منه وعداً بالذهاب. ولذا، قطفت الزوجة الطيبة أغصاناً من شجرة موز الجنة[1] وأحرقتها وأخذت رمادها وغسلت به ملابس زوجها فجعلتها أكثر بياضاً مما يمكن أن يجعلها أيّ مبيض للأقمشة.

(1) نبتة استوائية من فصيلة الموز (م).

Twitter: @ketab_n

فزوجها ذاهب إلى قصر ملك عظيم لا يمكن أن يقترب منه من يرتدون الأسمال القذرة، فضلاً عن كون زوجها براهماني ولابدّ من أن يظهر مهنداماً نظيفاً.

وهكذا غادر البراهماني ذات صباح منزله قاصداً قصر الملك العظيم. ولما كان مخبولاً، لم يسأل أحداً عن الطريق الذي ينبغي له أن يسير فيه، بل ظل يواصل سيره حيثما قادته قدماه. لم يكن بطبيعة الحال يمضي في الطريق الصحيح، فوصل إلى منطقة لم ير فيها أثراً لبشر على مدى أميال عديدة، وأبصر منظراً لم يسبق له أن رأى مثله في حياته. أبصر على جانبي الطريق أكواماً من «الكوري» (أصداف تستخدم كنقود)، ولم يكد يبعد عنها حتى رأى أكواماً من «البيزات»[1] ثم تلالاً أخرى من الأربع «أنّا»[2]، وأخرى من الثماني «أنّا»، وأخيراً تلة من قطع الروبية.

ولدهشة البراهماني المسكين الكبيرة، انتهت تلك الروابي المتتالية من العملات الفضية المتلألئة برابية مصقولة بالذهب الهندي والفارسي القديم، وكانت كلها تلمع ببريق وهّاج كأنها خرجت للتو من دار المسكوكات.

(1) Paise عملة نقدية قديمة تساوي الروبية اليوم (م).
(2) Anna قطعة نقدية هندية تساوي 1/16 من الروبية (م).

Twitter: @ketab_n

وعلى مقربة من تلك الرابية الذهبية أقيم منزل ضخم بدا قصر ملك ثري مكين، وفي الباب وقفت فتاة في غاية الجمال. ما إن رأت البراهماني حتى قالت: «تعال يا زوجي الحبيب، لقد تزوجتني حين كنت صغيرة ولم تأت البتة بعد زواجنا مع أنني كنت أنتظرتك كل يوم. مبارك هو اليوم الذي أرى فيه وجه زوجي. تعال يا حبيبي، ادخل، اغسل قدميك واسترح من عناء السفر، كل واشرب واسترح».

دهش البراهماني إلى أبعد حدّ. فهو لا يذكر أنه تزوج في صغره من أي امرأة غير امرأته. لكن، بما أنه براهماني أصيل، فقد ظن أن من الممكن تماماً أن أباه زوجه في صغره، مع أنه ليس لديه أدنى شعور أن ذلك قد حدث. إنما - تذكّر أم لم يتذكر- الحقيقة المؤكدة هي أن الفتاة أعلنت أنها زوجته - وأي زوجة! إنها جميلة مثل إله سماء «إندرا»[1]، ولا ريب أنها ثرية بقدر ما هي جميلة.

لمّا خطرت ببال البراهماني هذه الخواطر، قالت المرأة ثانية: «هل لديك شك بأني زوجتك؟ هل من الممكن أن تكون كل ذكريات ذلك الحدث السعيد قد تلاشت من ذهنك، وكذلك

(1) Indra إله الحرب والطقس وملك الديفات أو الآلهة ورب السماء في الديانة الهندوسية (م).

Twitter: @ketab_n

كل ذكريات حفل زفافنا البهيج؟ ادخل يا حبيبي، هذا هو بيتك لأن كل ما أملكه هو ملك لك أيضاً».

استسلم البراهماني أمام حفاوة هذه السيدة الجميلة، ودخل إلى البيت. لم يكن البيت بيتاً عادياً، بل قصراً بديعاً. كانت أجنحته كلها واسعة فخمة ومؤثثة أثاثاً باذخاً. لكن شيئاً واحداً أدهش البراهماني كثيراً، وهو أنه لم ير أحداً آخر سوى هذه الفتاة الرائعة. لم يستطع أن يفهم هذه ذلك، ولا استطاع أن يفسر كيف أنه لم يقابل أحداً طوال ارتحاله منذ الصباح حتى المساء. الحقيقة هي أن هذه المرأة ليست من البشر. بل هي «راكشاساس» أي جنية أو شيطانة. لقد أكلت الملك، والملكة وكل الأسرة الملكية، وتدريجياً أكلت كل المواطنين. وهذا هو السبب في أنه لا يوجد أحد من البشر في تلك النواحي.

عاشت «الراكشاساس» هذه هي والبراهماني معا زهاء أسبوع، ثم قالت الأولى للأخير: «إنني مشتاقة جداً لرؤية أختي، زوجتك الثانية. عليك أن تذهب وتأتي بها، وسوف نعيش معاً في هذا المنزل الجميل. عليك أن تذهب غداً في الصباح الباكر، وسأعطيك ملابس ومجوهرات لها».

Twitter: @ketab_n

وفي صباح اليوم التالي انطلق البراهماني بالملابس الجميلة والحلي الثمينة عائداً إلى البيت. كانت المرأة المسكينة في حالة من الأسى والحزن والكرب العظيم. فكل البراهمانيين والعلماء الذين ذهبوا إلى مأتم أم الملك قد عادوا إلى بيوتهم محملين بالهبات والهدايا، أما زوجها فلم يرجع، وما من أحدٍ استطاع أن يأتيها بخبرٍ عنه، لأنه ما من أحدٍ أبصره هناك. استنتجت المرأة أخيراً أن قطاع الطرق قتلوه. وكانت في هذه الحال من الترقب والقلق عندما سمعت ذات يوم شائعةً في القرية تتردد عن أن زوجها قد عاد إلى البيت بالملابس الجميلة والمجوهرات الثمينة التي أحضرها لها. وبالفعل ظهر البراهماني في الحال بحمله الثمين.

ولما رأى زوجته، قال لها: «تعالي معي، يا زوجتي العزيزة. لقد وجدت زوجتي الأولى. وهي تقيم في قصر مهيب، بجواره هضاب من الروبيات، وهضبة من الذهب الخالص. لماذا كتب عليك أن تذوي هكذا في الشقاء والبؤس في هذا المكان المريع؟ تعالي معي إلى منزل زوجتي الأولى وسنعيش الثلاثة في سعادة».

لما سمعت المرأة زوجها يتحدث عن زوجته الأولى وعن أكوام النقود والذهب الخالص، ظنت أن زوجها الأبله المسكين قد جنَّ تماماً، لكن حين أبصرت الملابس الحريرية البديعة وحلي

Twitter: @ketab_n

الماس والأحجار الكريمة التي لا تملكها إلا الملكات والأميرات، ظنت أن زوجها البائس قد وقع في حبائل جنية «راكشاساس». مهما يكن، فقد ألح البراهماني على زوجته بالذهاب معه وأعلن لها أنها إن لم تأتِ معه فهي حرة أن تتعفن في الفقر، أما هو فعازم على الرجوع إلى زوجته الأولى الثرية. عزمت المرأة المسكينة، بعد طول جدال مع زوجها، أن تذهب معه لكي ترى هي بنفسها حقيقة الأمر.

وفي صباح اليوم التالي ارتحلا معاً في الطريق ذاته الذي سافر فيه الزوج، لم تندهش المرأة حين رأت أكوام النقود من ذات البيسة والأنات والروبيات، وأخيراً تلك الكومة العالية من الذهب الخالص. كما رأت أيضاً امرأة ذات جمال فتان تخرج من القصر وتهرع نحوها. أحنت المرأة رقبتها لزوجة البراهماني إجلالاً، وذرفت دموع الفرح، وقالت: «مرحباً بك، يا أختي الحبيبة! أخيراً أبصرت وجه أعز أخت لديَّ!».

ثم دخلوا جميعاً إلى القصر.

في قصر فخم كهذا الذي يقيم فيه، مع أفضل المؤن وأشهاها التي تبلغ درجة السحر، وزوجتين عزيزتين رقيقتين إحداهما من البشر والثانية من العفاريت تتنافسان فيما بينهما على إسعاده

Twitter: @ketab_n

والتسرية عنه، قضى البراهماني أجمل وقت. كان يسبح في محيط من البهجة على مدى خمسة عشر أو ستة عشر عاماً على هذه الحال من النعيم الفردوسي، وولدت له زوجتاه ولدين، كان ابن «الراكشاساس» هو الأكبر وكان يبدو أشبه بملاك منه بكائن بشري، وقد سمي «ساهسرا دال» وتعني «الألف فرع». أما ابن المرأة البراهمانية فكان أصغر سنّاً من أخيه بعام واحد وقد سمي «تشامبا دال» أي «فرع شجرة تشامباكا».

أحب الولدان أحدهما الآخر حبّاً جماً. وذهبا معا إلى المدرسة التي كانت تبعد عدة أميال من المنزل، وكانا يذهبان إليها راكبين مهرتين كانتا تنطلقان بهما بسرعة البرق.

كانت المرأة البراهمانية تشك أن ضرَّتها لم تكن من البشر بل من الجن، وكان هناك ألف سبب وسبب لشكوكها تلك، لكن شكوكها لم تكن قد بلغت بعد درجة اليقين لأن هذه «الراكشاساس» كانت تمارس درجةً عالية من الانضباط، ولم تأتِ بشيء مما لا يفعله البشر. غير أن الطبيعة الشيطانية الشريرة، كالقتل، ستظهر.

لم يكن للبراهماني ما يفعله، ولتزجية وقته لجأ إلى الصيد. عاد في اليوم الأول مصطحباً ظبياً أُرقِد في فناء القصر. عند مرأى الظبي

Twitter: @ketab_n

أخذ فم «الراكشاساس» آكلة اللحوم النيئة يسيل لُعاباً. وقبل أن يوٴخذ الظبي إلى المطبخ، أخذته إلى إحدى الغرف وبدأت تلتهمه. رأت البراهمانية أختها من مكان خفي وهي تسلخ قائمة الظبي وتفتح فكها الهائل الذي بدا لها وكأنه انفتح بين السماء والأرض، ثم التهمت القائمة دفعةً واحدة. وبهذه الطريقة التهمت الظبي وأطرافه وجلده باستثناء قطعة صغيرة من اللحم تركت في المطبخ.

وفي اليوم التالي، جيء بظبي آخر، وكذلك اليوم الثالث، ولم تستطع الجنية أن تشبع شهيتها ونهمها للحم النيء، والتهمت الظبيين الأخيرين كما التهمت الأول. في اليوم الثالث أظهرت البراهمانية استغرابها لاختفاء الظباء كاملة ما عدا أجزاء صغيرة منها. نظرت إليها «الراكشاساس» بشراسة، وقالت: «وهل ترينني آكل اللحم النيء؟» فردت البراهمانية: «ربما، لأنني لا أعرف غير هذا».

عرفت «الراكشاساس» أن أمرها قد افتضح، فبدت أكثر شراسة من ذي قبل، وأقسمت على الانتقام. قدَّرت البراهمانية في نفسها أن مصيرها المحتوم ومصير زوجها وابنها قد قضي. أمضت ليلة مخيفة موقنةً أنها ستُقتل في اليوم التالي وتُلتهم وأن زوجها وابنها سيلقيان المصير ذاته.

Twitter: @ketab_n

وفي الصباح الباكر، وقبل أن يذهب ابنها إلى المدرسة، أعطته وعاءً ذهبياً صغيراً به قليل من حليبها، وقالت له إن عليه أن يراقب لونه باستمرار. قالت: «إن رأيت الحليب يصطبغ ببعض الحمرة، فافهم أن أباك قد قُتل، وإن رأيته يصير أكثر احمراراً، فافهم أنني قُتلت: وعندما يحدث هذا، انطلق ناجياً بحياتك بأسرع ما يستطيع مهرك أن ينطلق بك، لأنك إن لم تفعل فستقتل أنت أيضاً».

وحين استيقظت «الراكشاساس» ونهضت من سريرها، وكانت قد منعت البراهماني من أن يتصل بزوجته البراهمانية بأي وسيلة أثناء الليلة الماضية. واقترحت أن تذهب هي والبراهماني للاستحمام في النهر الذي لم يكن يبعد كثيراً عن المنزل، وقد قرّرت أنها لن تمارس بعد الآن بشيء من نكران الذات. لحق بها البراهماني مستكيناً خانعاً مثل حَمَل. أما البراهمانية فرأت في هذا أن الدمار آتٍ، لكن لم يكن بيدها حيلة لتفادي الكارثة.

وعلى ضفة النهر، اتخذت «الراكشاساس» هيأتها العملاقة الأصلية، وأمسكت بالبراهماني منكود الحظ ومزّقت جسمه عضواً عضواً والتهمته. ثم جرت إلى منزلها وأمسكت بالبراهمانية وأودعتها جوفها الواسع بملابسها وشعرها.

Twitter: @ketab_n

كان الصغير «تشامبا دال» الذي وعد أمه أن ينفذ طلبها، يراقب الحليب في الوعاء الذهبي. ثم أطلق صيحةً وقال إن أبانا قد قُتِل، وبعد دقائق وجد أن الحليب قد صار أحمر تماماً فأطلق صيحةً أعلى، وهب إلى مهره يمتطيه. دهش «ساهسرا دال» أخوه من أبيه لمسلك «تشامبا دال» وقال: «أين أنت ذاهب، يا تشامبا؟ لماذا تصرخ؟ دعني أرافقك».

«أوه، لا تقترب مني. لقد التهمت أمك أبي وأمي، فلا تقترب مني وتلتهمني».

«أنا لن ألتهمك، بل سأنقذك».

وما كاد يلفظ هذه الكلمات وانطلق بعد «تشامبا دال» حتى أبصر أمه في هيئتها الشيطانية تظهر على البعد وتطلب أن يجيء «تشامبا دال» إليها. قال لها: «أنا سأجيء إليك، لا تشامبا».

قال هذا وسار إلى أمه، وبسيفه الذي يحمله معه على الدوام مثل أمير صغير، قطع رأسها.

كان «تشامبا دال» حينها قد قطع مسافة طويلة وهو يحاول أن ينجو بحياته، لكن «ساهسرا دال» وهو ينخس مهره باستمرار لحق به، وأخبره أن أمه لم تعد على قيد الحياة. كان هذا عزاءً يسيراً

Twitter: @ketab_n

لـ«تشامبا» لأن «الراكشاساس» قبل أن تُقتل كانت قد التهمت أباه وأمه، لكنه مع ذلك لم يستطع إلا أن يشعر بأن مودة «ساهسرا دال» كانت مخلصة. ركبا معاً بأسرع ما يمكن لأن مهريهما كانا من نسل «باكشيراجس» أي ملكا الطيور. سافرا مئات الأميال. وقبل أن تغيب الشمس بساعة أو اثنتين، لمحا قرية فنزلا بها وحلاً ضيفين في منزل أحد السكان المحترمين.

وجد الصديقان أن أفراد أسرة ذلك الشخص الكريم يرزحون تحت كرب عظيم. لا شك أن شيئاً ما كان يثقل عليهم. كانوا يتشاورون مع بعضهم بعضاً على انفراد، وكان بعضهم يبكي. قالت المرأة الأكبر في السن ويبدو أنها أم رئيسهم: «دعوني اذهب لأنني أكبركم سناً. لقد عشت بما فيه الكفاية، وفي أحسن الأحوال لن يطول عمري أكثر من عام أو عامين».

وقالت البنت الأصغر سناً: «دعوني أنا أذهب لأنني أصغر واحدة في الأسرة وأقلها فائدة. وإن مت فلن أفتقد».

قال رب المنزل، وابن المرأة العجوز: «أنا رب المنزل وممثل الأسرة، والصواب أن أضحي أنا بحياتي».

Twitter: @ketab_n

وقال أخوه الأصغر: «أنت الأساس وعماد الأسرة، وإن أنت ذهبت انهارت الأسرة كلها. ليس من المعقول أن تذهب أنت، دعني أذهب أنا، لأنني لن أُفتقد كثيراً».

استمع الغريبان إلى كل هذا الحديث باهتمام بالغ. وتعجبا مما عسى أن يكون الأمر. وأخيراً، وبعد تردد خشية أن يظنوا أنه يتطفل ويتدخل في شئونهم، غامر «ساهسرا دال» وسأل رب المنزل عن الأمر الذي يتشاورون بشأنه وعن سبب أساهم العميق الذي يظهر بجلاء في كلماتهم ووجوههم. ردَّ رب الأسرة قائلاً: «اعلما، إذن، أيها الضيفان الكريمان أن هذا الجزء من البلاد يتعرض لاجتياح من قبل راكشاساس مريعة قد أبادت المناطق المجاورة وأخلتها من السكان. وهذه المدينة أيضاً كانت عرضة للإبادة لولا أن ملكنا تضرَّع أمام لراكشاساس وتوسل إليها أن ترأف بمواطنيه. فأجابته الراكشاساس: سأرأف بك وبمواطنيك فقط بالشرط التالي: ضع كل ليلة إنساناً -ذكراً أو أنثى- في معبد محدد من أجل وجبتي اليومية. إن حصلت على إنسان كل ليلة فسأرضى بذلك، ولن أنال من أحد من مواطنيك. لم يكن أمام ملكنا من سبيل سوى الموافقة على ذلك الشرط، إذ ما الذي يستطيع البشر أن يفعلوه أمام الراكشاساس؟ ومنذ ذلك اليوم

Twitter: @ketab_n

جعلها الملك قاعدة أن على كل أسرة في المدينة أن ترسل بالدور أحد أفرادها إلى المعبد أضحية لإرضاء الراكشاساس. وكل الأسر في هذا الحي قد أرسلت ما عليها، وهذه الليلة الدور علينا نحن أن نرسل واحداً منا. ولذا فإننا نتشاور في الأمر. لعلكما الآن قد فهمتما سبب كربنا».

تشاور الصديقان لوهلة، ثم قال «ساهسرا دال»: «أيها المضيف الكريم، لا تحزنوا بعد الآن. لقد كنتم كرماء معنا، وقد قررنا أن نرد على كرم ضيافتكم بأن نذهب نحن إلى المعبد ونصير زاداً للراكشاساس. سنذهب بدلاً منكم».

اعترضت الأسرة كلها على هذا العرض. وأعلنوا أن الضيوف هم أشبه بالآلهة، وأن واجب المضيف أن يحتمل كل صنوف العوز والفاقة من أجل راحة ضيوفه، وليس من واجب الضيف أن يعاني من أجل مضيفه. غير أن الغريبين أصرَّا على الذهاب وبعد طول أخذٍ ورد وافقت الأسرة مكرهة على هذا التدبير.

وعلى الفور، ما إن أضيئت الشموع حتى ذهب «ساهسرا دال» و«تشامبا دال» على مهريهما ودخلا المعبد وأغلقا الباب. أخبر «ساهسرا» أخاه أن يذهب للنوم لأنه نفسه عزم على أن يظل ساهراً طوال الليل يرقب مجيء «الراكشاساس» المخيفة.

Twitter: @ketab_n

وفي الحال، غرق «تشامبا» في النوم بينما ظل «ساهسرا» يقظاً. لم يحدث شيء في الساعات الأولى، لكن ما إن أعلنت ساعة قصر الملك منتصف الليل حتى سمع «ساهسرا» صوت عاصفة فعرف في الحال بحدس «الراكشاساس» أن «الراكشاساس» كانت قريبة. ثم سُمِعت طرقات مريعة على باب المعبد مصحوبةً بالكلمات التالية:

«هو، مو، خو!

أنا أشم رائحة إنسان،

من الذي يحرس في الداخل؟».

وعلى هذا السؤال ردَّ «ساهسرا دال» بما يلي:

«ساهسرا دال يحرس،

تشامبا دال يحرس،

مهران مجنَّحان يحرسان».

وعند سماع هذا الرد رجعت «الراكشاساس» إلى الوراء متأوِّهة، مدركةً أن «ساهسرا دال» يجري في عروقه دم «راكشاساس». وبعد ساعة، عادت ترعد الباب وتصيح:

Twitter: @ketab_n

«هو، مو، خو!

أنا أشم رائحة إنسان،

من الذي يحرس في الداخل؟».

ردَّ «ساهسرا دال»:

«ساهسرا دال يحرس،

تشامبا دال يحرس،

مهران مجنَّحان يحرسان».

تأوهت «الراكشاساس» ثانية وابتعدت. وفي الساعة الثانية والساعة الثالثة عادت مرةً بعد مرة، وكررت السؤال السابق، وحصلت على الرد ذاته، وفي كل مرةٍ كانت تبتعد متأوهة. وبعد الساعة الثالثة، شعر «ساهسرا دال» بالنعاس، ولم يستطع البقاء يقظاً. لذلك أيقظ «تشامبا» وأخبره أن يتولى الحراسة، وأكدَّ عليه بشدة الإجابة التي عليه أن يرددها على تساؤل «الراكشاساس» مشيراً إلى أن عليه أن يذكر اسم «ساهسرا دال» أولاً. وبعد هذه التعليمات، نام. وفي الساعة الرابعة ظهرت «الراكشاساس» ثانية مرعدةً على الباب:

Twitter: @ketab_n

«هو، مو، خو!

أنا أشم رائحة إنسان؛

من الذي يحرس في الداخل؟».

خاف «تشامبا دال» خوفاً شديداً، ونسي التعلميات التي لقنه أخوه، ثم أجاب:

«تشامبا دال يحرس،

ساهسرا دال يحرس،

مهران مجنَّحان يحرسان».

وعند سمع هذه الإجابة، أطلقت «الراكشاساس» صيحة ابتهاج، وضحكت ضحكة لا يجيدها إلا الشياطين وحدهم، وبضجةٍ عالية كسرت الباب. أيقظت الضجة «ساهسرا» الذي هبّ في الحال على قدميه وبسيفه الذي كان ليّناً مطواعا كسعفة نخل، قطع رأس «الراكشاساس»، فتهاوى جبل الجسد الهائل على الأرض محدثاً ضجةً مدوِّية واستلقى مغطّيا آلاف الأمتار المربعة. أبقى «ساهسرا دال» الرأس المقطوع قريباً منه وعاد للنوم. وفي الصباح الباكر، مرَّ بعض الحطابين بالمعبد فرأوا

Twitter: @ketab_n

الجسد الضخم على الأرض. لم يستطيعوا أن يحددوا من بعيد ما هو، لكنهم عندما اقتربوا منه عرفوا أنه جسد «الراكشاساس» المريع التي أخلت البلاد من سكانها. تذكروا وعد الملك لمن يقتل «الراكشاساس» بمكافأته بيد ابنته ومشاركته المملكة، رأى الحطابون أن يذهبوا لنيل المكافأة إذ لم يجدوا من يدَّعي قتل «الراكشاساس». فقطع كل واحدٍ منهم عضواً من الجثة الهائلة، وذهب إلى الملك، وقدَّم نفسه بوصفه قاتل آكلة اللحوم البشرية الرهيبة وطالب بالمكافأة. ولكي يعرف الملك البطل الحقيقي والمحرر، طلب من الوزير اسم العائلة التي كان عليها الدور في الليلة الماضية لتقديم الضحية لـ«الراكشاساس».

ولما أحضر رب تلك الأسرة إلى الملك، قص حكاية المسافرين الشابين اللذين كانا في ضيافته بمنزله وتطوَّعا للذهاب إلى المعبد بدلاً عن الضحية من أفراد الأسرة. كُسِرَ باب المعبد فوجد «ساهسرا دال» و«تشامبا دال» ومهريهما بأمان وسلام، وكان رأس «الراكشاساس» الذي وجد معهما هو البرهان الذي لا لبس فيه على القاتل الحق لـ«الراكشاساس».

أوفى الملك بعهده وزوج ابنته «ساهسرا دال» ومنحه السيادة على نصف مملكته. وبقي «تشامبا دال» مع صديقه في قصر الملك

Twitter: @ketab_n

متمتعاً بالخير والرفاه. عاش الاثنان سعيدين لبعض الوقت، حتى حدث سوء التفاهم بينهما على هذا النحو. كانت في خدمة الملكة الأم إحدى الفتيات وأكثرهن نفعاً في القصر. لم يكن يعوزها فعل شيء، وكانت تتمتع بقوة غير عادية، ولم يكن فيها أي مكر. كانت تتمتع بطاقة ونشاط نادرين. وإذا ما غابت يوماً واحداً عن القصر، اضطربت شؤونه كلياً. ولذا كانت خدماتها ذات قيمة عالية للملكة الأم ولكل سيدات القصر. لكن هذه المرأة لم تكن امرأة، بل «راكشاساس» ارتدت مظهر امرأة لتخدم أغراضها الخاصة، ثم تولت الخدمة في القصر الملكي.

كانت في الليل، وبعد أن ينام الجميع، تستعيد هيئتها الشيطانية ثم تذهب بحثاً عن الطعام لأن الطعام الذي كانت تتناوله وهو كافٍ للرجل والمرأة لم يكن يكفيها هي بوصفها «راكشاساس». ولما كان «تشامبا دال» الآن من دون زوجة، فقد كان ينام خارج جناح الحريم وغير بعيد من بوابة القصر الخارجية. لاحظ «تشامبا» الفتاة تتجوَّل في القصر وملحقاته وتلتهم الخراف والماعز والجياد والفيلة كاملة بقضِّها وقضيضها. ولما وجدت الفتاة أن «تشامبا دال» وقف في طريق تناولها عشائها، قررت أن تتخلص منه.

Twitter: @ketab_n

ذهبت ذات يوم إلى الملكة الأم وقالت: «أيتها الملكة الأم! لم أعد قادرة على العمل في القصر بعد الآن!».

«لماذا؟ ما الخطب، يا داسي؟ وكيف يمكنني الاستغناء عنك؟ قولي لي ما هي الأسباب. ما الذي يزعجك؟».

ردَّت الفتاة: «في هذه الأيام، لم يعد من الممكن لامرأة مسكينة مثلي الحفاظ على شرفها في هذا القصر. فهناك هذا التشامبا دال، صديق زوج ابنتك، يتعمَّد على الدوام ترديد النكات البذيئة معي. من الخير لي أن أتسوَّل طعامي على أن أفقد شرفي. وإن بقي تشامبا دال في القصر، فلابدَّ لي من أن أغادر».

ولما كانت هذه الخادمة ضرورية تماماً في القصر، قررت الملكة الأم أن تضحي بـ«تشامبا دال» على أن تخسر هذه الفتاة. لذلك أخبرت «ساهسرا دال» أن «تشامبا دال» هو رجل سيئ خليع مائع، ولابدّ من أن يغادر القصر. توسل «ساهسرا دال» لإبقاء صديقه من دون جدوى، فالملكة الأم قد حسمت أمرها في وجوب طرده من القصر.

لم يجد «ساهسرا دال» الشجاعة الكافية لمفاتحة صديقه وجهاً لوجه بهذا الموضوع، فكتب إليه رسالة ذكر فيها ببساطة أن عليه

Twitter: @ketab_n

-لأسباب معينة- أن يغادر القصر على الفور. وترك الرسالة في غرفته حينما ذهب للاستحمام. ولما قرأ الرسالة حزن إلى أبعد حد وامتطى مهره وغادر القصر.

ولما كان «تشامبا» ينطلق بسرعة غير عادية فقد قطع في ساعات معدودة آلاف الأميال، ووجد نفسه أخيراً أمام ما بدت بوابة قصر عظيم. ترجَّل عن مهره، ودخل المنزل فلم ير أي مخلوق. تجوَّل من جناح إلى جناح، ومع أن كل جناح كان وافر التأثيث والتجهيزات، فلم ير مخلوقاً واحداً. وأخيراً، وجد في إحدى الغرف الجانبية سيدة شابة جميلةً تنام على سريرٍ عال. نظر «تشامبا» إلى الفتاة الجميلة مذهولاً إذ لم ير قط امرأة بمثل حسنها. وفوق السرير، قريباً من رأس الفتاة رأى عصوين إحداهما فضية والأخرى ذهبية. أخذ «تشامبا» العصا الفضية في يده ولمس بها جسد الفتاة، فلم تتحرك أو تنتبه. عندئذ أخذ العصا الذهبية ولامس بها جسد الفتاة فاستيقظت عند اللمسة الثالثة واستوت جالسة في سريرها.

أخبرها «تشامبا دال» حكايته باختصار. قالت الفتاة، أو فلنقل الأميرة، لأنها لم تكون سوى أميرة: «أيها الرجل التعيس! لماذا أتيت إلى هنا؟ هذه بلاد «الراكشاساس» وفي

Twitter: @ketab_n

هذا القصر وحوله يعيش ما لا يقل عن سبعمئة واحد منهم. إنهم يذهبون جميعاً كل صباح إلى الجانب الآخر من المحيط بحثاً عن الطعام، ثم يعودون في المساء قبل الغسق. وقد كان أبي ملكاً على هذه البلاد، وكان له ملايين المواطنين يعيشون في مدنٍ وقرى مزدهرة. لكن، قبل سنوات عديدة اجتاح الراكشاساس البلاد والتهموا المواطنين أجمعين، كما التهموا أبي وأمي وإخوتي وأخواتي. والتهموا كل ماشية البلاد أيضاً. لم يعد هناك إنسان واحد يعيش في هذه البلاد سواي. وكان من المقدَّر لي أيضا أن أُلتَهم منذ زمن بعيد لولا أن عفريتة عجوز قد مارست سحراً ما حال دون التهام الراكشاساس لي. ألا ترى ذينك العصوين الذهبية والفضية؟ إن الراكشاساس العجوز تقتلني بالعصا الفضية حين تخرج في الصبح، وحين تعود في المساء تعيدني إلى الحياة بالعصا الذهبية. لست أدري بِمَ أنصحك. إن رأوك الراكشاساس فأنت ميت لا محالة».

عندئذ تحدثا معاً بتعاطف حميم وأحنيا رأسيهما أحدهما إلى الآخر كأنهما يريدان ابتكار وسيلة للافلات من قبضة «الراكشاساس».

Twitter: @ketab_n

حانت ساعة عودة السبعمئة عفريت من أكلة لحوم البشر والحيوانات، فأخبرت «كيشفاتي» -وهذا هو اسمها الذي أعطي لها بسبب شعرها الطويل الناعم- «تشامبا» أن يخفي نفسه في أكوام نفل البرسيم المقدسة الموضوعة في معبد «شيفا» في الجزء المركزي من اللقصر

قبل أن يذهب «تشامبا» إلى المخبأ، لمس «كيشفاتي» بالعصا الفضية فماتت على الفور.

وبعد غروب الشمس مباشرة سمع «تشامبا دال» وهو تحت أكوام نفل البرسيم المقدسة صوتاً أشبه بصوت ريح عاصفة. ثم سمع ضوضاء مرعبة في القصر. كان «الراكشاساس» قد عادوا بعد أن ملأوا أجوافهم بالخراف والماعز والأبقار والجواميس والفيلة. وجاءت «الراكشاساس» العجوز التي ذكرنا إلى حجرة «كيشفاتي»، ثم أيقظتها بالعصا الذهبية، قائلة:

«هي، مي، خي!

أنا أشم رائحة إنسان».

فردت «كيشفاتي»: «أنا الانسانة الوحيدة هنا. كُليني إن أردت».

Twitter: @ketab_n

أجابت آكلة اللحوم: «دعيني آكل أعداءك؛ لماذا آكلك؟».

ورقدت على الأرض طويلة مرتفعة كجبال «فينذيا»، ونامت على الفور. وكذلك «الراكشاساس» الآخرون والأخريات ناموا أجمعين من شدة التعب والجهود الجبارة التي بذلوها خلال النهار. واستلقت أيضا «كيشفاتي» لتنام؛ أما «تشامبا» فلم يجرؤ على مغادرة أكوام النفل، محاولاً جهده أن يرضي إله رباطة الجأش.

وعند بزوغ الشمس استيقظ الشياطين كلهم وخرجوا لصيدهم ورحلتهم الفتاكة، وذهبت معهم «الراكشاساس» العجوز بعد أن لامست بالعصا الفضية «كيشفاتي».

لما رأى «تشامبا دال» أن المكان قد خلا منهم، خرج من المعبد، ومضى إلى حجرة «كيشفاتي»، ولامس جسدها ثلاث مرات بالعصا الذهبية فاستيقظت. تمشيا في الحدائق، واستمتعا بنسيم الصباح العليل، واغتسلا في حوض رقراق، ثم أكلا وشربا وقضيا يومهما يتجاذبان أعذب الكلام. ثم رسما خطة لتحرير نفسيهما. اتفقا على أن تسأل «كيشفاتي» «الراكشاساس» العجوز على أي شيء تتوقف حياة «الراكشاساس» وعندما يُعرف السر سيتدبرا الأمر بناء على ذلك.

Twitter: @ketab_n

وكما في الليلة الماضية، لامس «تشامبا» جسد «كيشفاتي» بالعصا الفضية، ولاذ بمخبئه في المعبد. وعند الغسق عادوا إلى القصر؛ وأيقظت «الراكشاساس» العجوز «كيشفاتي» وقالت:

«هي، مي، خي!

أنا أشم رائحة إنسان».

ردت «كيشفاتي»: «أي إنسانٍ هنا سواي. كُليني إن أردت».

«ولماذا آكلك يا حبيبتي؟ دعيني آكل أعداءك».

ثم ألقت بجسدها الضخم على الأرض فبدا كجبال الهملايا. ذهبت «كيشفاتي» ومعها قنينة من زيت الخردل الحار إلى عند قدمي «الراكشاساس» العجوز، وقالت: «يا أماه، قدماك متورمتان من المشي؛ دعيني أدهنهما بالزيت».

قالت ذلك وأخذت تدلك بالزيت قدمي «الراكشاساس» وبينما تفعل ذلك، سقطت بضع قطرات من دموعها على قدمي «الراكشاساس» العجوز، فارتشفتها هذه بشفتيها فوجدت طعمها مالحاً، وقالت: «لماذا تبكين يا عزيزتي؟ ما بك؟». فردت

Twitter: @ketab_n

عليها الأميرة: «يا أماه، أنا أبكي لأنك صرت طاعنة في السن، وحين تموتين سوف أُلتهم بالتأكيد بواسطة واحدٍ من أولئك «الراكشاساس».

«عندما أموت! اعلمي أيتها الساذجة، أننا نحن الراكشاساس لا نموت. نحن لسنا بطبيعة الحال مخلوقات خالدة، لكن حياتنا تتوقف على سر لا يمكن لأي إنسان أن يحلّه. دعيني أخبرك ما هو حتى تكوني مطمئنة. أنت تعرفين تلك البحيرة التي هناك في الأسفل؛ يوجد في وسطها عامود كريستال سفاتيكا سثامبا وفي أسفله في المياه العميقة نحلتان. لو أن إنساناً غاص إلى المياه وأحضر إلى الأرض النحلتين من ذلك العامود خلال نفس واحد، ثم قضى عليهما من دون أن يسقط دمهما على الأرض، فعندئذٍ سنموت نحن الراكشاساس أجمعين. لكن، لو سقطت قطرة من الدم على الأرض فسيولد منها عندئذٍ ألف عفريت منا. لكن، أنّى لإنسان أن يكتشف هذا السر، وإن اكتشفه فكيف يمكن له تحقيقه؟ لست بحاجة يا حبيبتي إذن أن تحزني فأنا بالذات مخلوقة غير فانية».

طبعت «كيشفاتي» كنز سرّها في ذاكرتها وأوت لتنام. وفي الصباح الباكر، خرج الشياطين كلهم كالعادة، وخرج

Twitter: @ketab_n

«تشامبا» من مخبئه، وأيقظ «كيشفاتي» وراحا يتحادثان. أسرَّت له بالسر الذي عرفته من العفريتة العجوز. وفي الحال استعد «تشامبا» لتحقيق هذه المأثرة الجبارة. أحضر إلى ضفة البحيرة سكيناً وكميةً من الرماد. خلع ملابسه ووضع قطرتين من زيت الخردل في كلِّ أذن ليحول دون دخول الماء إليهما، ثم غاص في الماء. وفي لحظة بلغ أسفل عامود الكريستال في وسط البحيرة، وأمسك بالنحلتين، وصعد إلى الأعلى خلال نَفَس واحد. أخذ السكين وقطع النحلتين فوق الرماد وسقطت قطرةٌ أو اثنتان على الرماد من دون أن تقعا على الأرض. عندما أمسك «تشامبا» بالنحلتين سُمِع صراخ مريع من مسافات نائية، وكان ذلك هو نواح «الراكشاساس» الذين كانوا يجرون جمعياً ليحولوا دون قتل النحلتين، لكنهم قبل أن يصلوا إلى القصر كانت النحلتان قد هلكتا، فماتوا كلهم من دون استثناء، وملأت جثثهم المكان الذي كانوا فيه. ووجد «تشامبا» والأميرة أن بوابة القصر كانت قد سدت بجثثهم الهائلة، وكان بعضهم قد أفلح في اجتياز البوابة إلى الداخل. وبهذه الطريقة تم القضاء على السبعمئة عفريت.

بعد التخلص من أكلة اللحوم، تزوج «تشامبا دال» من الأميرة «كيشفاتي» وتبادلا أكاليل الزهور. أرادت الأميرة التي

Twitter: @ketab_n

لم يسبق لها أن خرجت من القصر أن ترى العالم الخارجي. فكانا يخرجان كل يوم في جولات طويلة صباحاً ومساءً، وودَّت «كيشفاتي» من كل قلبها أن تستحم في نهر غزير. ذهبا في اليوم الأول ليستحما، وسقطت شعرة من شعر «كيشفاتي»، ولما كانت العادة ألا تُسقِط المرأة شعرة غير مصحوبةٍ بشيء آخر معها، ربطت «كيشفاتي» الشعرة إلى صدفة كانت تطفو على الماء، وبعد ذلك عادا إلى البيت.

تلك الصدفة التي ربطت إليها الشعرة طفت على الماء حتى وصلت إلى «الغات»، مكان الاستحمام الذي كان يستحم فيه «ساهسرا دال» ومرافقوه. مرَّت الصدفة فرآها «ساهسرا» عن بعد، فقال لهم: «من يمسك بتلك الصدفة يحصل على مئة روبية مكافأة».

سبحوا كلهم نحوها، ولما كان «ساهسرا دال» أسرعهم، فقد أمسك هو بها. ولما فحصها وجد شعرةً مربوطة إليها. لكن، أي شعرة! لم يسبق له أن رأى شعرةً بذلك الطول. لقد كان طولها سبعة أذرع تماماً. قال في تصميم: «لابدّ من أن صاحبة هذه الشعرة امرأةً غير عادية، ولابد لي من أن أراها».

Twitter: @ketab_n

عاد من النهر إلى القصر في مزاج كئيب غارقٍ في التأمل، وبدلاً من الذهاب إلى الداخل لتناول الافطار، ظل في الباحة الخارجية من القصر. ولما سمعت الملكة الأم بأن مزاجه متكدر وأنه لم يأت لتناول فطوره، ذهبت إليه وسألته عن السبب. أراها الشعرة، وقال لها إنه يود أن يرى المرأة التي سقطت من رأسها تلك الشعرة. قالت الملكة الأم: «حسن جداً، ستكون تلك المرأة في القصر بأسرع ما يمكن. أعدك أن أحضرها إلى هنا».

أخبرت الملكة الأم خادمتها المفضلة التي تعرف أنها تملك مهارات غير عادية -إنها الفتاة «الراكشاساس» المتنكرة- وقالت لها إن عليها أن تجيء بأسرع وقتٍ ممكن بالمرأة المطلوبة إلى القصر. قالت الفتاة إنها ستجيء بها بالتأكيد. ووفقاً لتعليماتها هي بُني قاربٌ من خشب «الهاجول»، ومجاذيفه من خشب «المون باهان».

ووضع القارب في النهر، وصعدت الفتاة إليه مع بعض السِّلال المصنوعة من الأماليد المجدولة، وأخذت معها أيضاً بعض الحلويات مزجت بعضها بالسم، طقطقت بأصابعها ثلاثاً، ولفظت التعويذة التالية:

«يا قارب الهاجول!

Twitter: @ketab_n

يا مجاذيف المون باهان!

خذيني إلى مكان الاستحمام

الذي تستحمُّ فيه كيشفاتي».

ما إن نطقت هذه الكلمات حتى انطلق القارب فوق المياه بسرعة البرق، مخلفاً وراءه مدينة بعد مدينة إلى أن توقف أخيراً عند مكان للاستحمام، فاستنتجت «الراكشاساس» أنه مكان استحمام «كيشفاتي». نزلت والحلوى بيدها، وذهبت إلى بوابة القصر، وصاحت بصوتٍ عال: «يا كيشفاتي، يا كيشفاتي، أنا خالتك أخت أمك. لقد جئت لرؤيتك، وجدتك يا حبيبتي بعد سنوات طويلة. أأنتِ في الداخل يا كيشفاتي؟».

لما سمعت الأميرة هذه الكلمات، خرجت من غرفتها ولم تشكّ قطّ في ألاَّ تكون تلك هي خالتها، فعانقتها وقبلتها، وذرفتا معاً دموع الفرح، أو على الأقل «الراكشاساس» فعلت، فحاكتها «كيشفاتي» تعاطفاً. حتى «تشامبا دال» ظنَّ أنها خالة زوجته. أكلوا وشربوا معاً واستراحوا في منتصف النهار. ثم ذهب «تشامبا دال» كعادته إلى النوم في ذلك الوقت.

Twitter: @ketab_n

وعند الظهيرة، قالت الخالة المزعومة لـ «كيشفاتي»: «فلنذهب إلى النهر للاستحمام». أجابت «كيشفاتي»: «وكيف يمكننا أن نذهب الآن؟ إن زوجي نائم».

«فليكن، دعيه ينام، ودعي هذه الحلوى التي أحضرتها معي بجانب سريره كي يأكلها حين يصحو».

ثم ذهبتا معاً إلى النهر إلى البقعة التي تركت فيها القارب. لما رأت «كيشفاتي» السِّلال المجدولة في القارب، قالت: «خالتي، يا لجمال تلك الأشياء! أتمنى أن أحصل على شيء منها».

«تعالي، يا طفلتي، وانظري إليها؛ ويمكنك أن تأخذي منها ما شئتِ».

رفضت «كيشفاتي» في البداية أن تصعد إلى القارب، لكنها تحت ضغط خالتها صعدت. ولما صارت الاثنتان في القارب، طقطقت الخالة أصابعها ثلاثاً وقالت:

«يا قارب الهاجول،

يا مجاذيف المون باهان،

خذيني إلى مكان الاستحمام

Twitter: @ketab_n

الذي يستحم فيه ساهسرا دال».

وما إن نطقت بتلك الكلمات السحرية حتى تحرَّك القارب وطار مثل سهم فوق المياه. ذعرت «كيشفاتي» وشرعت تبكي، إلاّ أن القارب واصل طيرانه مخلفاً وراءه المدن واحدةً بعد واحدة حتى وصل إلى مكان استحمام «ساهسرا».

أُخذت «كيشفاتي» إلى القصر، وأعجب «ساهسرا» بجمالها وطول شعرها، وحاولت نساء القصر جهدهنَّ للترويح عليها، لكنها ظلت تبكي بصوتٍ عالٍ تودُّ أن تعود لزوجها. وأخيراً، لما تبينت أنها أسيرة، قالت لسيدات القصر إنها أقسمت ألاّ تنظر في وجه رجل غريب مدة ستة أشهر. لذلك وُضِعت بمعزل عن الكل في منزل صغير تطلُّ نافذته على الطريق. وهنا كانت تقضي نهارها وليلها -لأنها لم تكن تنام إلا لماماً- تبكي وتتنهَّد بحرقةٍ أليمة.

في تلك الأثناء، عندما استيقظ «تشامبا دال» من نومه، أخرسه الحزن إذ لم يجد زوجته. واعتقد أن المرأة التي ادعت أنها خالتها كانت كاذبةً محتالة، ولابدّ من أنها قد حملت «كيشفاتي» بعيداً. لم يتناول الحلوى شاكاً أنها مسمومة. رمى بقطعة منها إلى أحد الديوك، فالتهمها وسقط ميتاً على الفور. تأكدت له الآن صحة سوء ظنه بالمرأة المخادعة.

Twitter: @ketab_n

استولى عليه الكرب الشديد حتى كاد يفقد صوابه، فهبَّ خارجاً من البيت، وعزم على أن ينطلق حيثما قادته عيناه. ومثل مجنون، ارتحل وهو لا يفتأ يردِّد: «كيشفاتي! يا كيشفاتي!».

سافر راجلاً يوماً بعد يوم لا يدري إلى أين تقوده قدماه.

مرت ستة أشهر على هذا النحو من التجوال المعذِّب، وانتهى به الطواف إلى عاصمة «ساهسرا دال». كان يمرُّ ببوابة القصر عندما تناهى إلى سمعه نواح امرأةٍ جالسة في إحدى النوافذ المطلة على الطريق. شدَّه ذلك النواح، فاقترب، وما إن وقع بصر كلٍّ منهما على الآخر حتى عرفه. ظلا يتحدثان همساً. سمع «تشامبا دال» كل شيءٍ منها بما في ذلك قسمها، والمدة التي ستنتهي في اليوم التالي.

ومن المعروف أنه عند تحقيق النذر بالنسبة إلى براهماني متعلم، أن يردِّد على الملأ أحداثاً مرتبطةً بنذره ذاكراً الأشخاص الذين فعلوها. واتفقا على أن يتولىّ «تشامبا» دور الراوي أو المنشد.

قُرع الطبل في اليوم التالي معلناً أن الملك يريد براهمانياً متعلماً يقدر على تلاوة قصة «كيشفاتي» في خاتمة قسَمها. لمس «تشامبا دال» الطبل، وقال إنه سيقوم بالتلاوة.

Twitter: @ketab_n

وفي صباح اليوم التالي، احتشدت الجموع الغفيرة في فناء القصر تحت سقائف هائلة من الحرير. حضر الملك العجوز، و«ساهسرا دال»، وكل الحاشية الملكية، وكل البراهمانيين الحكماء في البلاد. وكانت «كيشفاتي» أيضاً حاضرة خلف ستار كي يحجب عنها النظرات الوقحة. جلس «تشامبا دال» على مصطبة مرتفعة، وبدأ يروي حكاية «كيشفاتي»، كما حكيناها من البداية إلى النهاية بادئاً بـ: «عاش براهماني فقير نصف مخبول... الخ».

وبينما هو يواصل حكايته، كان الراوي يسأل بين الحين والآخر «كيشفاتي» من وراء حجاب عمّا إذا كانت الحكاية صحيحة، وكانت هي تردُّ غالباً بالقول: «صحيحة تماماً، واصل أيها البراهماني».

وفي أثناء سرد الحكاية، صارت «الراكشاساس» تشحب وتشحب وقد فهمت أن شخصيتها الحقيقية قد كشفت، ودهش «ساهسرا دال» نفسه من معرفة الراوي لتأريخ حياته الشخصية. ولما انتهت القصة، قفز «ساهسرا دال» من مقعده، وعانق الراوي، قائلاً: «لا يمكن أن تكون سوى أخي تشامبا دال».

Twitter: @ketab_n

عندئذٍ، ثارت ثائرة الأمير وأمر بإحضار الفتاة بين يديه. وحُفرت حفرة عميقة بقامة رجل، ووضعت الفتاة فيها، وهيلت عليها شجيرات الزعرور الشائكة، حتى بلغت قمة رأسها. وهكذا دفنت الخادمة حيَّة. بعد ذلك عاش «ساهسرا دال» وأميرته، و«تشامبا دال» و«كيشفاتي» معاً حياةً سعيدة على مدى سنوات عديدة.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

Twitter: @ketab_n

حكاية «سُوت وباسنت»

كان هناك أحد التجار الأثرياء ولم يكن له سوى ولدٍ واحد أحبه حبّاً عميقاً. وكان يعطيه ما أراد. وقد أراد ذات مرة منزلاً جميلاً وسط حديقة، فبني المنزل الجميل وسط الحديقة. وبينما كان الابن يتمشى ذات يوم في حديقته، وضع يده في عشِّ طائرٍ صغير يدعى «تونتوني» فوجد فيه بيضةً واحدة أخذها ووضعها في خزانة في جدار منزله. أغلق باب الخزانة ونسي كل شيء عنها وعن البيضة.

ومع أن ابن النجار كان له منزله الخاص، لكنه لم يكن يعيش فيه مستقلاً، فهو لم يكن معه طباخٌ، بل كانت أمه ترسل إليه بانتظام طعام الافطار والعشاء كل يوم.

فقست البيضة التي وضعها ذات يوم في خزانة الجدار وخرجت منها بنت جميلة. لكن ابن التاجر لم يعرف عنها شيئاً فهو كان قد نيسها تماماً، وظل باب الخزانة موصداً منذ ذلك الحين الذي وضع فيه البيضة.

Twitter: @ketab_n

كبرت الطفلة في خزانة الجدار ولا علم لها بشيء عن ابن التاجر أو عن سواه. ولما صارت قادرةً على المشي، دفعها فضولها إلى فتح الباب، رأت بعض الطعام ملقى على الأرض (كان طعام الافطار الذي أرسلته الأم لابنها)، خرجت، وأكلت قليلاً منه، وعادت إلى زنزانتها في الخزانة.

كانت الأم ترسل لابنها من الطعام أكثر من حاجته، فلم يلحظ أي نقص في الكمية. راحت البنت تخرج كل يوم وتأكل جزءاً من الطعام ثم تعود إلى مكانها. ولما كبرت صارت تأكل قدراً أكبر فأكبر، ولذا فقد أخذ ابن التاجر يلاحظ نقص كمية طعامه.

لم يخطر بباله وجود الفتاة في خزانة الجدار، وقد تعجَّب أن ترسل له أمه ذلك القدر القليل من الطعام. بعث بكلمة شكوى لأمه عن قلة الطعام الذي ترسله له، وعن الطريقة غير اللائقة في تقديمه في الطبق، لأن الفتاة كانت تمسك الرز والكاري وأصناف الطعام الأخرى، ولما كانت تفعل ذلك على عجل كيلا يراها أحد، فلم تكن تجد الوقت لترتب الطعام كما ينبغي بعد أن تفرغ من أكل جزء منه. دهشت الأم من الشكوى لأنها كانت ترسل كمية كافية من الطعام أكبر مما يمكن أن يحتاجها ابنها، كما كانت تضع الطعام في أفضل صورة ممكنة في طبق فضي بيديها هي.

Twitter: @ketab_n

لكن، وبعد أن كرر ابنها الشكوى ذاتها يوماً بعد يوم، بدأت تشك في عبثٍ ما.

أخبرت ابنها أن يراقب ويرى إن كان أحدٌ ما يأكل من طعامه من دون أن يُلاحظ. ولذا، فحين أحضر الخادم طعام الافطار ووضعه في مكان نظيف على أرضية الحجرة، كَمَنَ ابن التاجر في مكان خفي بدلاً من الذهاب للاستحمام كعادته، وجلس ينتظر. وبعد دقائق أبصر باب الخزانة ينفتح وتخرج عذراء جميلة في السادسة عشرة من عمرها، وتجلس على السجادة، وتشرع في تناول الطعام.

خرج ابن التاجر من مكمنه، ولم تستطع العذراء أن تهرب. قال: «من أنتِ، أيتها المخلوقة الجميلة؟ يبدو أنك لم تولدي على هذه الأرض. أأنتِ واحدةٌ من بناتِ الآلهة؟». ردت الفتاة: «لست أدري من أنا. كلُّ ما أعرفه هو أنني وجدت نفسي ذات يوم في خزانة الجدار، وكنت منذ ذلك الحين أعيش فيها».

استغرب ابن التاجر، وعدَّ ذلك أمراً غير معقول. ثم تذكر أنه قبل ستة عشر عاماً وضع في الخزانة بيضةً وجدها في عشِّ طائر «تونتوني». ترك جمال الفتاة النادر أثراً عميقاً في نفس ابن التاجر، وقرر في سره أن يتزوجها. لم تذهب الفتاة إلى الخزانة بعد ذلك، بل أقامت في إحدى غرف البيت الواسع.

Twitter: @ketab_n

في اليوم التالي، أرسل ابن التاجر يخبر أمه أنه يريد أن يتزوج. لامت الأم نفسها لأنها لم تفكر من قبل بزواج ابنها، وأرسلت إلى ابنها تخبره أنها هي وأبوه سيرسلان في الغد خاطبات إلى أرجاء البلاد ليبحثن له عن العروس المناسبة. فردَّ عليها ابنها أنه قد وجد هو نفسه أجمل وأنسب فتاة، وإذا لم يكن لديهما مانع فإنه سيحضرها إليهما ليرياها. وهكذا أخذ فتاة الخزانة إلى منزل التاجر، فدهش الأبوان من جمال تلك الغريبة الذي لا نظير له، ومن رشاقتها الفاتنة، ومن دون أن يسألا أي سؤالٍ عن أصلها وفصلها، أُحتفل بالزفاف.

وبعد بضع سنين، أنجبت الفتاة ولدين لابن التاجر، سمي الأكبر «سُوِت»، والأصغر «باسَنْت». مات التاجر العجوز وكذلك زوجته. وكبر «سُوِت» و«باسنت» وصارا فتيين جميلين، تزوج أكبرهما، وبعد وقت قصير من زواجه ماتت أمه «سيدة الخزانة»، ولم يضع الأب الأرمل وقتاً طويلاً بل سارع إلى الزواج بفتاة جميلة. ولما كانت زوجة «سُوِت» أكبر سناً من زوجة أبيه، فقد صارت هي ربة البيت. وقد كرهت زوجة الأب -مثلها مثل كل زوجات الآباء- «سوِت» و«باسنت» كراهية شديدة. وكانت المرأتان -بطبيعة الحال- في شجار دائم طوال الوقت.

Twitter: @ketab_n

وذات يوم حدث أن جلب أحد الصيادين إلى ابن التاجر (لن ندعوه بعد الآن كذلك بعد وفاة أبيه) سمكةً ذات جمال فريد. لم تكن سمكة كتلك الأسماك المألوفة. بل كانت تتمتع بخصائص مدهشة عزاها إليها الصياد، قائلاً إنه إذا أكلها أحدٌ فإنه إذا ما ضحك تساقطت من فمه الأحجار الكريمة «مانيكز»، وإذا بكى انهمر اللؤلؤ من عينيه.

سمع التاجر عن هذه السمات المنسوبة إلى السمكة فاشتراها بألف روبية، ووضعها في يد زوجة «سُوت» التي كانت ربة البيت، وطلب منها بحزم أن تطبخها جيداً وتحضرها له وحده ليأكلها. وقد سمعت السيدة، أو الأم في البيت، حديث حميها مع الصياد، فقررت في سريرتها أن تعطي السمكة المطبوخة لزوجها ولأخيه ليأكلاها، وتعطي لحميها بدلاً منها ضفدعةً طبخت بطريقة بارعة.

بعد أن فرغت من طبخ السمكة والضفدعة، سمعت صخباً ومشاجرة بين زوجة حميها وأخي زوجها. بدا أن «باسنت»، الذي كان لا يزال فتى غرّاً، وكان يهوى الحمام الذي استأنسه، وأن إحدى تلك الحمام دخلت إلى غرفة زوجة أبيه، فأخفتها هذه بين ملابسها. اندفع «باسنت» إلى الغرفة وراح يصرخ

Twitter: @ketab_n

مطالباً بحمامته. أنكرت زوجة أبيه معرفتها عن الحمامة، فأخذ «سُوِت»، أخو «باسنت»، الحمامة بالقوة من بين الملابس وأعطاها لأخيه. جعلت زوجة الأب تسبُّ وتشتم، وقالت: «انتظر حتى يعود رب البيت وسوف أجعله يسفك دمك ودم أخيك قبل أن أعطيه شربة ماء».

نادت زوجة «سُوِت» زوجها وقالت له: «يا زوجي العزيز، هذه المرأة أمكر امرأة، ولها نفوذٌ قوي على أبيك. ولسوف تجعله ينفذ ما هددت به. إن حياتنا في خطر بيِّن. دعنا أولاً نأكل قليلاً، ثم نهرب نحن الثلاثة من هذا البيت».

دعا «سُوِت» أخاه «باسنت» وأخبره بما سمعه من زوجته. وقرروا أن يرحلوا قبل حلول الظلام. وضعت المرأة أمام زوجها وأخيه السمكة العجيبة وأكلاها بنهم وشهية واضحين. حزمت المرأة مجوهراتها في صندوق. وكان هناك جواد واحد فحسب يتمتع بسرعة خارقة. ركب الثلاثة، وكان «سوِت» يمسك بعنانه، وركبت المرأة في الوسط وصندوقها في حجرها، وركب «باسنت» في المؤخرة.

انطلق الجواد بأقصى سرعة. واجتازوا السهول الواسعة والمدن العديدة إلى أن وجدوا أنفسهم أخيراً في غابة غير بعيدة عن ضفة

Twitter: @ketab_n

أحد الأنهار. وهنا حدث ما لم يتوقعه أحد. بدأت زوجة «سوِت» تشعر بآلام المخاض. ترجلوا عن الجواد، وبعد ساعة أو ساعتين ولدت ابناً. ما الذي كان على الأخوين أن يفعلاه في غابة كهذه؟ كان لابدَّ لهما من إشعال النار لتدفئة الأم ورضيعها. لكن أنّى لهما أن يشعلا ناراً؟ لم يكن من بشر هناك. ومع ذلك، لابدَّ من إشعال النار فبرد شهر ديسمبر قد يقضي على الطفل وأمه.

طلب «سوِت» من أخيه أن يجلس إلى جوار زوجته، في حين ذهب هو في الظلام يبحث عن نار. مشى أميالاً عديدة في الظلام، ولم ير أثراً لبشر. وفي الأخير، ظهر نجم الصباح البديع «سوكرا» فأضاء له طريقه إلى حدٍّ ما، فرأى على بعد ما بدا مدينة كبيرة. هنّأ نفسه على إنهاء رحلته، وعلى تمكنه من الحصول على النار من أجل زوجته المسكينة الراقدة في البرد في الغابة هي ومولودها الجديد. وفجأةً اعترض طريقه فيلٌ مزين زينةً باذخة، ورفعه بلطف بخرطومه ووضعه على مقعد مريح ناعم على ظهره. ثم مضى بسرعة نحو المدينة. ذهل «سوِت»، ولم يفهم شيئاً من مسلك الفيل، وتعجَّب مما يخفيه له القدر.

كان القدر يخفي له تاجاً. ففي تلك المملكة، وفي المدينة التي كان يقترب منها، في كلِّ صباح ينتخب ملك، لأن الملك الذي

Twitter: @ketab_n

كان ينتخب في اليوم السابق كان يُعثر عليه ميّتاً في الصباح في غرفة الملكة. لم يدر أحدٌ البتة سبب الوفاة، ولا الملكة نفسها درت شيئاً (لأن كل ملك كان يتخذها زوجة له). والفيل الذي أمسك بـ«سوِت»، كان هو الذي يجيء بالملك.

في كل صباح، كان الفيل ينطلق باكراً إلى أماكن بعيدة، ومن يجيء به على ظهره، كان ينصَّب ملكا معترفاً به من قبل الناس أجمعين. مشى الفيل في جلال بين الحشود في شوارع المدينة وهتافات الناس، فلم يفهم «سوِت» شيئاً من معنى ذلك. ثم دخل الفيل القصر ووضع «سوِت» على العرش. وأعلن ملكاً وسط رضا بعضهم وامتعاض بعضهم الآخر.

وفي ذات اليوم، سمع بالمصير الحتمي الغريب الذي يلقاه كل ليلة الملك المنتخب في هذه الأرجاء، لكنه كان يتمتع بشجاعة ورباطة جأش، فأخذ حذره تماماً ليتفادى المصير المروع. ومع ذلك فهو لم يكن يعرف أي حيلة يلجأ إليها لأنه لم يكن يدري بطبيعة الخطر. مهما يكن، فقد استقر رأيه على أمرين، وهما أن يذهب مسلَّحاً إلى حجرة الملكة، وأن يظل يقظاً طوال الليل.

كانت الملكة شابةً جميلة فاتنة وفي غاية البراءة واللطف لدرجة أن تعابير وجهها لم تكن توحي بأنها يمكن أن تستخدم

Twitter: @ketab_n

أي وسائل خبيثة لتنال بها من حياة زوجها. قضى «سوِت» في غرفة الملك مساءً رائعاً جميلاً، ولما أوغل الليل، نامت الملكة، وظل «سوِت» يقظاً حذراً ينظر صوب أدنى حركة تصدر من أي ركن من أركان الحجرة، متوقعاً أن يُقتل في أي لحظة. وفي قلب الليل شعر بشيء أشبه بخيط يخرج من منخر الملكة. كان الخيط رفيعاً جداً لدرجة أنه لم يكد يُرى. وهو يراقب وجد أنه يبلغ عدة ياردات طولاً. ومع ذلك فقد استمرّ في الخروج حتى خرج كله وبدأ يثخن ويثخن، وخلال دقائق استحال ثعباناً هائلاً. وفي الحال قطع «سوِت» رأسه، كما قطع بقية جسمه الذي راح يتلوى بعنف.

جلس بهدوء في الحجرة منتظراً مغامرات أخرى. بيد أنه لم يحدث شيء. نامت الملكة أطول من المعتاد لأنها تحررت من تلك الأفعى الهائلة التي جعلت من بطنها مأوى لها. وفي صباح اليوم التالي، جاء الوزراء متوقعين -كالمعتاد- أن يجدوا الملك ميِّتاً. لكن سيدات القصر طرقن باب حجرة الملكة ودهشن حين أبصرن «سوِت» يخرج منها سليماً معافى.

عرف الناس أجمعين بعد ذلك أن ثعباناً ضخماً كان يخرج كلَّ ليلة من جوف الملكة ويقضي على الملوك المختارين، وكيف

Twitter: @ketab_n

أنه قُتِل أخيراً بواسطة المحظوظ «سوِت». ابتهجت البلاد كلها بملك المستقبل الدائم. من الغريب، والصحيح أيضاً، أن «سوِت» لم يعد يتذكر شيئاً عن زوجته المسكينة وابنه المولود الراقدَين في الغابة، ولا تذكَّر أخاه الذي يرعاهما. بتوليه العرش، يبدو أنه نسي ماضيه كله.

«باسنت»، الذي عهد إليه أخوه العناية بزوجته وابنه، جلس يراقب لساعات طويلة، متوقعاً في كل لحظةٍ أن يرى «سوِت» عائداً مع النار. انقضت الليلة ولم يعد. وطلعت الشمس، فذهب إلى ضفة النهر القريبة، وراح يتلفت قلقاً عله يرى أخاه، من دون جدوى. انتابه الغم الشديد، وجلس بجانب النهر يبكي حين مرَّ قاربُ تاجرٍ عائد إلى موطنه. ولما اقترب من الشاطئ، أبصر التاجر «باسنت» يبكي، وأدهشه إلى أبعد حدٍ ما رآه من كومةٍ تشبه اللؤلؤ قريباً من الفتى الباكي.

أمر التاجر النوتي أن يجنح بالقارب إلى الضفة وذهب إلى الولد الباكي، ووجد كومة اللؤلؤ الحقيقية ذات البريق اللمّاع: ودهش أكثر حين اكتشف أن الكومة في تزايد مستمر كل ثانية لأن الدموع كانت تتساقط من عينيه إلى الأرض لؤلؤاً لا دموعاً.

Twitter: @ketab_n

جرف التاجر اللؤلؤ إلى قاربه، وبمساعدة خادمه أمسكا بـ«باسنت» نفسه ووضعاه في القارب وربطاه إلى صارية. قاوم «باسنت» بطبيعة الحال، لكن ماذا كان عساه يفعل أمام الكثيرين؟

فكر «باسنت» بأخيه وبزوجة أخيه وبالرضيع وبنفسه هو فبكى بمرارة شديدة أكثر من ذي قبل، فتضاعف سرور التاجر لأن المزيد من دموع الأسير كانت تجعله أكثر ثراءً. ولما وصل التاجر إلى موطنه، حبس «باسنت» في حجرةٍ وفي ساعات محددة كان يواصل إيذاءه وإغاظته ليجعله يبكي أكثر، لتتحول دموعه إلى لؤلؤ.

قال التاجر ذات يوم لأحد خدمه: «ما دام هذا الولد قد جعلني ثريّاً بدموعه، فلنر، إذنً، ما الذي يمكن أن يجلبه لنا ضحكه».

وبدأ يدغدغ أسيره، ولما ضحك، تساقطت الكثير من الأحجار الكريمة الثمينة من فمه. بعد ذلك، كان الفتى المسكين يُساط حيناً ويدغدغ حيناً آخر ليل نهار، فصار التاجر من جرّاء ذلك، أثرى الناس في البلاد.

Twitter: @ketab_n

فلنترك «باسنت» يخضع لعملية العقاب والدغدغة هذه، ولنعد لنرى حظ تلك المرأة البائسة هي ومولودها الجديد.

من الواضح أن زوجة «سوِت» التي تخلى عنها زوجها وأخو زوجها، قد غشيها الكرب اللامحدود. امرأة ولَدت منذ سويعات قليلة مولودها الأول، وحيدة في الغابة، بعيدة عن البشر، متروكة للبرد والجوع، كل ذلك يدعو للرثاء حقاً. بكت أنهاراً من الدموع. لكن الحزن الشديد غادرها بالنوم هي ورضيعها.

وحدث أن مرَّ في تلك الساعة رئيس الشرطة «كوتوال». كان سيء الحظ فيما يتعلق بالانجاب، فكل طفل ولدته زوجته كان يموت بعد وقتٍ قصير من ميلاده، وكان الآن بالذات في طريقه إلى دفن آخر مولود على ضفة النهر. ووقع بصره في الغابة على امرأةٍ نائمة ورضيعها بين ذراعيها. كان رضيعاً جميلاً نشيطاً. رغب رئيس الشرطة بالحصول على الرضيع الجميل. فأخذه بهدوء، ووضع بدلاً منه الرضيع الميت وعاد إلى البيت، وأخبر زوجته أن الرضيع لم يمت وأنه قد استعاد حياته.

لم تدر زوجة «سُوِت» بما مورس عليها من احتيال من قبل رئيس الشرطة. ولما استيقظت وجدت طفلها ميِّتاً. يمكننا تخيُّل ما حلَّ بها من عذاب وألم وكيف اسودّت الدنيا في عينيها.

Twitter: @ketab_n

وصارت ذاهلة من شدة الحزن، وفي ذهولها قررت الانتحار.

لم يكن النهر بعيداً عنها، فارتأت أن تُغرق نفسها فيه. أخذت صندوق المجوهرات وسارت صوب النهر. وغير بعيد منها كان ثمة براهماني يقوم بطقس الاستحمام الصباحي. فلمح المرأة تسير نحو الماء، وظن أنها ذاهبةٌ للاستحمام، غير أنه حين رآها تخوض بعيداً في المياه، خالجه الشك. فكف عن أداء طقسه، وصاح بصوتٍ عال، آمراً المرأة أن تذهب إليه.

رأت زوجة «سوِت» أن الرجل الذي يناديها هو رجل مسنّ، فرجعت ومضت نحوه. وعندما سألها عما كانت تنوي فعله، قالت إنها أرادت أن تضع حداً لحياتها، ولأنها كانت تملك بعض المجوهرات معها، فإن عليها أن تعطيها له كهدية إن هو قبلها. وبناءً على طلب البراهماني، حكت له حكايتها كاملة. خلاصة الأمر، أنه منعها من إغراق نفسها، واستقبلتها أسرة البراهماني وعاملتها زوجته كأنها ابنتها.

مرت السنون. وكبر ابن رئيس الشرطي نشيطاً معافى وصار فتىً قوياً. لم يكن منزل رئيس الشرطة يبعد كثيراً عن منزل البراهماني، فقد كان ابنه يتقابل عرضيّاً مع المرأة الغريبة الجميلة التي عرفت بابنة البراهماني. أحب الولد المرأة وأراد أن يتزوجها.

Twitter: @ketab_n

تحدث إلى أبيه عنها، وتحدث أبوه إلى البراهماني. ثارت ثورة البراهماني وبلغت كلَّ حد. ما هذا! ابن شرطيٍّ غشاش يطلب يد ابنة براهماني! إن ذلك أشبه بقزم يودُّ ملامسة القمر! لكن أصرّ ابن الشرطي على أن ينالها بالقوة. وبهذه النية الشريرة، تسلق ذات يوم سور منزل البراهماني وصعد إلى سقف حظيرته القش. وبينما كان يستطلع من ذلك المكان العالي، سمع المحادثة التالية بين عجلين من العجول في الاصطبل:

قال العجل الأول: «البشر يتهموننا بالجهل الحيواني واللاأخلاقي، لكني أرى شخصياً أن البشر هم أسوأ منا بخمسين مرة».

رد العجل الثاني: «وما الذي يدعوك لقول هذا يا أخي؟ أرأيت اليوم شيئاً من فسق الانسان؟».

«من يا ترى، يمكن أن يكون أعظم خسَّة وإجراماً من ذلك الفتى الذي يجلس الآن فوق رؤوسنا في سقف القش لهذا الكوخ؟».

«لماذا؟ لقد حسبت فقط أنه ابن شرطيِّنا؛ ولم أسمع أنه شرير أو خسيس جداً».

Twitter: @ketab_n

«أنت لم تسمع بعد، لكن أصغ إليَّ الآن. هذا الفتى الحقير يريد أن يتزوج بأمه!».

ثم حكى العجل الأول للعجل الثاني المتلهف قصة «سوِت» و«باسنت» بالتفصيل؛ كيف هربا مع زوجة «سوِت» من حقد زوجة أبيها، وكيف أنجبت زوجة «سوِت» رضيعاً في الغابة عند ضفة النهر، وكيف نصِّب «سوِت» ملكاً بواسطة الفيل، وكيف أفلح في قتل الثعبان الذي خرج من منخر الملكة؛ وكيف أُخذ «باسنت» أسيراً على يد التاجر، ثم حبسه في زنزانة وأوكل إلى من يضربه حيناً ويدغدغه آخر من أجل اللؤلؤ والأحجار الكريمة؛ وكيف بدّل رئيس الشرطة طفله الميت بطفل زوجة «سوِت» الحيّ؛ وكيف حيل بين زوجة «سوِت» وبين إغراق نفسها في النهر بواسطة البراهماني؛ وكيف استُقبلت من قِبَل أسرة البراهماني وعوملت كأنها ابنتهم؛ وكيف كبُر ابن رئيس الشرطة صَلِفاً شهوانياً ووقع في حبها؛ وكيف أنه في هذه اللحظة بالذات ينوي أن ينال بغيته الخسيسة منها. سمع الولد الحكاية كلها فصعق وانتابه الرعب.

سمع ابن رئيس الشرطة وهو فوق سقف القش الحكاية كاملة، ورجع إلى البيت يخبر أباه ويطلب منه أن يقابل الملك. ولما

Twitter: @ketab_n

رفض الأب أن يفعل خوفاً على سمعته، ذهب الولد نفسه لمقابلة الملك، وأعاد له الحكاية كلها كما سمعها من فم العجل عندما كان في سقف الحظيرة. عندئذ تذكر الملك حالة زوجته البائسة: جيء بالزوجة من بيت البراهماني الذي كوفئ مكافأةً مجزية، ثم وضعت في مكانها الملائم كملكة، واعترف بابن رئيس الشرطة ابناً للملك، وأعلن ولياً للعرش؛ وأحضر «باسنت» من سجنه، وعوقب التاجر الخبيث بما يستحقه فدفن حياً في حفرةٍ بعد أن أهيل عليه شجر الزعرور الشائك حتى قمة رأسه.

وبعد ذلك، عاش «سُوت»، وزوجته وابنه وأخوه «باسنت» معاً في سعادة لسنوات عديدة.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة... إلخ

Twitter: @ketab_n

عين «ساني» الشريرة

في قديم الزمان نشب شجارٌ حاد في السماء بين «ساني» أو «ساتورن»[1]، إله الحظ العاثر، و«لاكشمي»، إلهة الحظ السعيد. قال «ساني» إنه أعلى مرتبةً من «لاكشمي»، وقالت «لاكشمي» إنها أعلى مرتبةً من «ساني». ولما كان كل الآلهة والآلهات في السماء متساوين في اصطفافهم مع الطرفين، فقد اتفق الإلهين المتنافسين على أن يحتكموا في الأمر إلى كائن بشريّ يتمتع بالحكمة والعدل.

عاش في ذلك الحين على الأرض إنسان يدعى «سرياتسا» ويعني «طفل الحظ»، وكان يتمتع بالحكمة والعدل كما كان أيضاً ثرياً. فاختاره الإله والإلهة ليحسم الخلاف بينهما. وذات يوم أُخبر «سرياتسا» أن «ساني» و«لاكشمي» يرغبان في زيارته ليحل بينهما الخلاف. فاحتار «سرياتسا» وتأزّم. فإن هو قال إن «ساني» أعلى مرتبةً من «لاكشمي»، فإنها ستغضب منه وتتخلىّ

(1) هو زحل إله الزراعة عند الرومان (م).

Twitter: @ketab_n

عنه. وإن هو قال إن «لاكشمي» أعلى مرتبةً من «ساني»، فإنه سيصوِّب عينه الشريرة إليه. ولذلك قررَّ ألاَّ يقول شيئاً بطريقةٍ مباشرة، بل سيدع الإله والإلهة يستنبطان رأيه من خلال فعله.

أمر بصنع مقعدين أحدهما من الذهب والآخر من الفضة، ثم وضعهما إلى جانبه. وعندما جاء «ساني» و«لاكشمي» إليه طلب من «ساني» أن يجلس على المقعد الفضي، وطلب من «لاكشمي» أن تجلس على المقعد الذهبي. جنَّ جنون «ساني»، وصرخ بنبرة ساخطة لـ«سريباتسا»: «حسناً، ما دمت تعتبر لاكشمي أعلى مرتبةً مني، فإني سأصوِّب عيني عليك مدة ثلاث سنوات، وسوف أرى ماذا أنت فاعل في نهاية تلك المدة».

وخرج الإله حانقاً أشدّ الحنق. وقالت «لاكشمي» قبل أن تخرج مخاطبة «سريباتسا»: «يا طفلي، لا تخش شيئاً. سأكون صديقتك».

خرج الإله والإلهة. قال «سريباتسا» لزوجته التي تدعى «تشينتماني»: «يا عزيزتي، ما دامت عين ساني ستصوَّب عليَّ في الحال، فإن من الخير لي أن أبتعد عن البيت، لأنني إن بقيت فيه معك، فإن الشر سيحل بك وبي لكن إن ابتعدت، فسيحل بي فقط».

Twitter: @ketab_n

قالت «تشينتماني»: «هذا لا يمكن أن يحدث وحيثما ذهبتَ ذهبتُ معك، وما يصيبك يصيبني».

حاول الزوج جاهداً إقناع زوجته بالبقاء في البيت، فلم يفلح إذ أصرت على مرافقته. فأخبرها زوجها أن تثقب ثقباً في فراشهما وتحشو فيه كل ما معهما من نقود ومجوهرات وفي الليلة الأخيرة قبل مغادرتهما المنزل، دعا «سريباتسا» الإلهة «لاكشمي» فظهرت على الفور. عندئذٍ قال لها: «أيتها الأم لاكشمي! ما دامت عين ساني الشريرة قد أصابتنا، فإننا راحلان إلى المنفى، لكن، كوني صديقتنا، وانتبهي لبيتنا وأملاكنا».

أجابت آلهة الحظ السعيد: «لا تخشيا شيئاً. سأكون صديقتكما ونصيرتكما، وسيكون كل شيء على ما يرام».

ورحلا. لفَّ «سريباتسا» الفراش ووضعه فوق رأسه. لم يكادا يقطعان بضعة أميال حتى صادفا نهراً أمامهما. لم يكن من السهل عليهما اجتيازه، وكان على الضفة قاربٌ صغير وعلى متنه رجل. طلبا منه أن يعبر بهما النهر. قال الرجل: «لا أستطيع أن آخذ سوى واحد في كل مرة. وأنتم ثلاثة: أنت وزوجتك والفراش».

Twitter: @ketab_n

اقترح «سريباتسا» أن تذهب زوجته والفراش أولاً، ثم يتبعهما، لكن صاحب القارب لم يصغ إليه. وقال: «واحدٌ فقط في كل مرة. وسآخذ الفراش أولاً».

وحين وصل القارب بالفراش إلى وسط النهر، ثارت ريحٌ هوجاء، وعصفت بالقارب والفراش وصاحب القارب. لم يدر أحد إلى أين طوَّحت به. الغريب أن العاصفة اختفت أيضاً، لأن المكان الذي أبصر الزوجان منذ وهلة قبل أن تثور المياه صار الآن أرضاً صلبة تماماً. عرف «سريباتسا» حينئذٍ أن ذلك لم يكن شيئاً سوى عين «ساني» الشريرة.

ذهب «سريباتسا» وزوجته، وليس في جيوبهما بيسةٌ واحدة، إلى إحدى القرى القريبة. كانت القرية مسكونة في معظمها بالحطابين الذين اعتادوا أن يخرجوا عند شروق الشمس إلى الغابة للتحطيب ويبيعون الحطب في المدينة القريبة من القرية. طلب «سريباتسا» من الحطابين أن يذهب معهم إلى الغابة للعمل معهم، فوافقوا. وبدأ يقطع الأشجار كأفضل واحدٍ فيهم، الفرق الوحيد بينه وبينهم هو أن الحطابين كانوا يقطعون أي شجرة ويحتطبون أي شيء، أما هو فلم يكن يقطع سوى الأشجار الثمينة كالصندل. كان الحطابون يدخلون إلى المدينة أحمالاً

Twitter: @ketab_n

ثقيلةً من حطب الأشجار العادية، أما «سريباتسا» فكان يحمل قطعاً صغيرة من أشجار الصندل ينال مقابلها نقوداً أكثر بكثير مما يحصل عليه الحطابون الآخرون.

واستمر الحال على هذا النحو يوماً بعد يوم، فحسده الحطابون واجتمعوا وأجمعوا أمرهم على طرده هو وزوجته من القرية. فذهبا إلى قريةٍ أخرى وكانت خاصة بالنساجين أو على الأصح بالذين يغزلون القطن. وهنا جاء دور زوجة «سريباتسا» لتكون ذا نفع بواسطة غزل القطن. ولما كانت امرأة ذكية وبارعة فقد كانت تغزل القطن غزلاً دقيقاً أفضل من غزل الأخريات، فكانت تحصل على نقود أكثر منهن. وقد أثار هذا حسد نساء القرية، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد. فمن أجل أن ينال «سريباتسا» أفضل ما لدى النساجين، دعاهم إلى وليمة أعدت فيها زوجته الأطباق كلها. ولما كانت «تشينتماني» ماهرة في الطبخ، فإن نساجي القرية غير المتمدنين قد أُخِذوا جميعاً بأصناف الطعام اللذيذ الذي وضع أمامهم. وعندما عاد الرجال إلى منازلهم وبَّخوا زوجاتهم لعدم قدرتهن على الطبخ مثل زوجة «سريباتسا»، وقالوا عنهن إنهن لا يحسنَّ شيئاً.

Twitter: @ketab_n

جعل هذا نساء القرية يكرهن «تشينتماني» أكثر من ذي قبل. وفي أحد الأيام، ذهبت إلى النهر لتستحم مع نساء القرية. وكان على ضفة النهر قارب عَلِق في الرمل منذ بضعة أيام، وحاولوا إخراجه فلم يفلحوا. وحدث أن لمست «تشينتماني» القارب بالمصادفة فخرج على الفور إلى النهر. دُهش أصحاب القارب مما حدث ظانين أن للمرأة قوىً غير عادية، وقد تكون عوناً في مناسبات أخرى مستقبلاً. لذلك أمسكوا بها ووضعوها في القارب وانطلقوا بها بعيداً. ولم تظهر النسوة اللاتي كن حاضرات أي عونٍ لها أو مقاومة لأنهن كن يكرهنها.

حين سمع «سريباتسا» كيف أُخذت زوجته بواسطة أصحاب القارب، جن جنونه. غادر القرية وذهب إلى ضفة النهر، وعزم على تتبع النهر حتى يظفر بأصحاب القارب الذين أخذوا زوجته سجينة معهم. ارتحل وارتحل مع النهر حتى حل الظلام. ولما لم يجد كوخاً، تسلق شجرة ليبيت ليلته فيها.

وفي صباح اليوم التالي، نزل من الشجرة ورأى تحتها بقرة تدعى «بقرة كابيلا»، لا تنجب أعجالاً ولكنها تمنح الحليب في كل ساعة كلما حُلبت. حلب «سريباتسا» البقرة، وشرب حليبها حتى ارتوى. ولاحظ أن ما تتركه من مخلفات على الأرض له

Twitter: @ketab_n

لون أصفر لامع؛ لقد وجده في الحقيقة ذهباً خالصاً. ولما كان لا يزال في حالة ليِّنة كتب اسمه عليه، وحين صار صلباً فيما بعد بدا أشبه بقالب من الطوب الذهبي، بل كان كذلك حقاً. كانت الشجرة بجوار النهر، وكانت «بقرة كابيلا» تأتي صباحاً ومساءً لتزوِّده بالحليب فقرر «سريباتسا» أن يبقى في ذلك الموضع حتى يلتقي القارب.

في تلك الأثناء، كانت قوالب الذهب تتزايد في عددها كل يوم إذ كانت البقرة تترك مخلفاتها الثمينة صباح مساء. كان يرص قوالب الذهب التي كتب عليها اسمه قطعة فوق قطعة في صفوف حتى بدت من بعيد تلاً من الذهب.

فلندع «سريباتسا»، إذن، يرص قوالب ذهبه تحت الشجرة على ضفة النهر، ولنتابع نحن مصير زوجته. كانت «تشيتنماني» جميلة جداً، وقد أدركت أن جمالها يمكن أن يؤدي إلى دمارها، لذلك توسلت إلى «لاكشمي» عندما أسرها أصحاب القارب قائلة: «أيتها الأم لاكشمي، ارأفي بي، لقد جعلتِني جميلة، لكن جمالي يمكن أن يؤدي إلى دماري إن أنا فقدت شرفي وعفافي. لذلك أتوسل إليك، أيتها الأم الغالية الكريمة، أن تجعليني قبيحة وأن تغطي جسدي بالمرض البغيض المنفِّر حتى لا يلمسني

Twitter: @ketab_n

أصحاب القارب».

سمعت «لاكشمي» تضرعات «تشيتنماني»، وفي غمضة عين وهي بين أيدي أصحاب القارب، استحال جمالها إلى جثةٍ كريهة. ولما وضعها أصحاب القارب في قاربهم وجدوا جسدها وقد غُطي بتورُّمات بشعة وكانت تنبعث منها رائحة منتنة. لذلك وضعوها حيث يضعون الحمولة وكانوا يعطونها في الصباح والمساء قليلاً من الأرز المغلي والماء. وقضت «تشيتنماني» في ذلك الحجز حياة بائسة، لكنها كانت تفضل ذلك البؤس على أن تفقد عفافها. انتقل أصحاب القارب إلى أحد الموانئ، وباعوا الحمولة وعادوا إلى بلادهم. وبينما هم في طريقهم أبصروا رابية الذهب على جانب النهر فجذبت انتباههم.

سر «سريباتسا» الذي كانت عيناه مثبتتين على النهر، حين أبصر القارب آتياً نحوه، لأنه كان يتصور أنه لابدّ من أن تكون زوجته بداخله. ذهب الرجال إلى رابية الذهب، فقال لهم «سريباتسا» إن الذهب ملكٌ له. وضعوا كل الذهب في القارب وأخذوا «سريباتسا» سجيناً ووضعوه غير بعيد من زوجته المغطاة بالأورام.

Twitter: @ketab_n

تعرَّف أحدهما الأخر في الحال، على الرغم مما حصل من تغير لـ«تشيتنماني»، لكنهما ظناً أن من الحكمة ألا يتكلما معاً. لذلك كانا يتواصلان بالإشارات فقط. كان أصحاب القارب مغرمين بلعب النرد، ولما بدا لهما «سريباتسا» من مظهره رجلاً محترماً، كانا يطلبان منه على الدوام أن يشاركهما في اللعب. وقد كان لاعباً ماهراً، فكان يفوز دائماً، فحسده الرجال لمهارته الفائقة فقذفوا به من ظهر القارب.

كانت «تشيتنماني» حاضرة الذهن، فرمت بوسادة كانت تريح عليها رأسها إلى الماء. أمسك «سريباتسا» بالوسادة وطفى عليها أسفل النهر طوال الليل إلى أن بلغ ما بدا له حديقة على حافة المياه. وهناك علق بين الأشجار، وبقي يرتجف مبلولاً طوال الليل. كانت الحديقة ملكاً لأرملة تزود ملك البلاد بالزهور. ولسبب أو لآخر حلَّت بالحديقة مصيبةٌ ما لأن الأشجار والنباتات كفت عن التفتح والإزهار، فتخلت عن مكانتها كمزوِّد رئيس للقصر الملكي بالزهور.

في صباح اليوم التالي، صباح الليلة التي علق فيها «سريباتسا» بين الأشجار، عندما نهضت المرأة من سريرها وخرجت إلى الحديقة، لم تكد تصدق عينيها حين رأت الأشجار والنباتات في

Twitter: @ketab_n

الحديقة مشتعلة بالأزهار والورود. ما من شجرة ولا نبات إلا وقد تفتقت بأجمل الأزهار وأنضرها.

لم تفهم الأرملة سر ذلك المشهد المدهش، تمشَّت في الحديقة، ولمحت على ضفة الماء رجلاً عالقا بين الأشجار يرتجف من البرد يوشك أن يموت. فأخذته إلى كوخها، وأشعلت ناراً لتُدفئه، وأخذت تعتني به عناية شديدة لأنها عزت تفتح أشجارها ونباتاتها إلى حضوره هو.

بعد أن أراحته بكل وسيلة قدرت عليها، هرعت إلى قصر الملك، وأخبرت رئيس خدم الملك أنها صارت مستعدة مرة ثانية لتزويد القصر الملكي بالزهور، فمُنحت مكانتها السابقة. طلب منها «سريباتسا» الذي بقي عندها بضعة أيام أن توصِّي عليه أحد وزراء الملك من أجل أن يُمنح وظيفة ما. فأُرسل إلى القصر، ولما وجدوه يتمتع بالذكاء، سأله الوزير أي منصب يريد. ثم عيَّن بناءً على رغبته جابياً للضرائب على النهر.

وبينما كان يمارس مسؤولياته كجابٍ للضرائب، أبصر بعد بضعة أيام القارب ذاته الذي سُجنت فيه زوجته. احتجز القارب، واتُّهم أصحابه بسرقة رابية الذهب التي كانت ملكاً له. وعلى ذكر الذهب، جاء الملك نفسه إلى ضفة النهر، وذهل إلى

Twitter: @ketab_n

أبعد حد لمرأى قطع الطوب الذهبية، التي كتب على كل قطعةٍ منها اسم «سريباتسا».

وفي الوقت ذاته، أنقذ «سريباتسا» زوجته من أصحاب القارب، التي ما إن خرجت من القارب حتى عادت جميلة كما كانت.

سمع الملك حكاية ما تعرض له «سريباتسا» من متاعب من شفتيه هو، فاستضافه أياماً في القصر كما يُستضاف الأمراء، ثم أرسله هو وزوجته إلى بلادهما محملين بالهدايا والخيول والأفيال. وتخلص «سريباتسا» من عين «ساني» الشريرة، وعاد إلى سابق عهده «طفل الحظ».

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

Twitter: @ketab_n

الولد الذي أرضعته سبع أمهات

في قديم الزمان، حكم العرش ملك كان له سبع ملكات. وكان شديد الحزن لأنهن جميعاً كن عواقر. وذات يوم أخبره أحد الرهبان المتسولين الأتقياء أن شجرة تنمو في إحدى الغابات وفي فرع منها تتدلى سبع ثمار مانجو إن قطفها الملك نفسه وأعطى كل واحدة من ملكاته ثمرةً منها، فإنهن جميعاً سيصرن أمهات.

وهكذا، ذهب الملك إلى الغابة، وقطف الثمار السبع التي نمت على فرع واحد، ثم أعطى كل ملكة ثمرةً لتأكلها. وبعد وقتٍ قصير، امتلأ قلب الملك بالبهجة إذ سمع أن الملكات السبع صرن حوامل.

وذات يوم، خرج الملك للصيد فأبصر فتاة ذات جمال لا نظير له تخطر أمامه. فوقع في حبها وأحضرها إلى القصر وتزوجها. هذه الفتاة، على أي حال، لم تكن من البشر، بل من الشياطين، «راكشاساس»، لكن الملك لم يعرف بشيء من ذلك. وقد شغف

Twitter: @ketab_n

الملك بها، فصار يفعل كل ما تطلبه منه. قالت له ذات يوم: «أنت تقول إنك تحبني أكثر من أي ملكة أخرى. فلنر إن كنت فعلاً تحبني هكذا. إن كنت تحبني فاجعل ملكاتك السبع عُمياً ثم اقتلهن».

وقع الملك في حزن بالغ من هذا الطلب لأحب ملكة لديه، والأسوأ من ذلك أنهن كلهن حوامل. لكن، لم يكن أمامه من سبيل سوى أن يمتثل لطلب الملكة «الراكشاساس». نُزعت أعين الملكات السبع من محاجرهن ثم أُسلمن لرئيس الوزراء ليتولى إعدامهن. لكن رئيس الوزراء كان عطوفاً، وبدلاً من قتلهن أخفاهن في كهف في الجبل.

وفي الوقت المحدد، ولدت أكبر الملكات طفلاً، قالت: «ماذا أصنع بهذا الطفل الآن وقد أصبحنا عُمياً ونكاد نموت من الجوع؟ فلتدعنني أقتل هذا الطفل، ثم نأكل لحمه».

قالت ذلك، وقتلت الطفل، وأعطت كلَّ واحدةٍ من أخواتها الملكات قطعة لتأكلها. أكلت كلٌّ من الملكات الست حصتها، أما أصغرهن سنّاً فلم تأكل نصيبها، بل وضعتها بجانبها. وبعد بضعة أيام ولدت الملكة الثانية طفلاً، ففعلت كما فعلت الملكة الأولى بطفلها. وكذلك فعلت الملكة الثالثة والرابعة والخامسة

Twitter: @ketab_n

والسادسة. وأخيراً ولدت الملكة السابعة ولداً لكنها قررت أن تربيه. طلبت الملكات حصصهنَّ من لحم الطفل الأخير، فأعطت كلٌّ واحدة قطعة من قطع الستة الأطفال المقتولين التي كانت تحتفظ بها ولا تأكلها. عرفت الملكات في الحال أن نصيبهن من اللحم كان جافاً، أي أنَّ اللحم لم يكن من لحم المولود الجديد.

أخبرتهن الملكة السابعة أنها قررت ألا تقتل رضيعها بل ستربيه. فرحت الملكات بما سمعنه، وقلن كلهن إنهن سيساعدنها في ذلك. وهكذا صار الطفل يرضع من الأمهات السبع فصار بعد بضع سنين أصلب وأقوى ولد عرفه الناس.

وفي خلال تلك السنين عاثت «الراكشاساس» زوجة الملك في القصر فساداً بل وفي البلاد كلها. فلم يكن ما تأكله على المائدة الملكية يشبع جوفها الواسع، لذلك كانت تلتهم في قلب الليل أفراد الأسرة الملكية وخيولها وأفيالها ومواشيها حتى لم يبق في القصر غيرها هي وزوجها الملك. بعد ذلك، جعلت تخرج كل مساء إلى المدينة وتلتهم البشر الضالين هنا وهناك.

وكان الملك يُترك دون أن يهتم به أحد من الخدم إذ لم يبق أحدٌ ليطبخ له طعامه، أو يتولى خدمته. وأخيراً أقبل إلى القصر الولد الذي أرضعته الملكات السبع، وقد صار فتى طويلاً قوي البنية،

Twitter: @ketab_n

وتطوَّع لخدمة الملك، متخذاً كل حرص ليحول بين الملكة وبين التهامه فكان يعود إلى مسكنه قبل حلول الظلام، فلم تكن تتمكن الملكة «الراكشاساس» من ضحاياها إلا في الليل. لذلك قررت الملكة أن تتخلص من الولد بطريقة أخرى. كان الولد يدَّعي أنه قادرٌ على القيام بأي عمل مهما كان صعباً. فأخبرته أنها تعاني من مرض لا يمكن شفاؤه إلا بأكل صنف معين من أصناف البطيخ يبلغ طوله اثني عشر ذراعاً، والتي طول نواتها ثلاثة عشر ذراعاً، وأن هذه الفاكهة لا يمكن الحصول عليها إلا من أمها التي تعيش في الجانب الآخر من المحيط. أعطته رسالة تعرِّفه فيها إلى أمها، وتطلب منها أن تلتهمه فور أن يضع الرسالة في يدها. شك الولد بأن في الأمر لعبة خبيثة، فمزَّق الرسالة ومضى في رحلته.

جاب الولد المثابر بلداناً عديدة، وتوقف أخيراً على شاطئ المحيط في الجانب الآخر حيث موطن «الراكشاساس». صرخ بأعلى صوت قائلاً: «يا جدتاه! يا جدتاه! تعالي وأنقذي أختك. إنها مريضة في حالة خطر».

سمعت النداء «الراكشاساس» العجوز على الجانب الآخر من المحيط، فأقبلت نحو الولد، ولما أخبرها بالغرض الذي جاء من أجله حملته على ظهرها وعبرت المحيط ثانية، فصار الولد

Twitter: @ketab_n

في بلاد العفاريت. وهناك أعطته البطيخة ذات الاثني عشر ذراعاً والنواة ذات الثلاثة عشر ذراعاً على الفور، ثم قيل له أن يعبر المحيط عائداً. لكن الولد شكى من الإرهاق، وطلب أن يستريح ليوم واحد. فوافقت «الراكشاساس» العجوز.

لمح الفتى عصاً وحبلاً معلقين في حجرة «الراكشاساس» فسألها لماذا هما هناك. أجابته: «أيها الطفل، بهذه العصا والحبل أجتاز المحيط. ولو أن أحداً أخذ العصا والحبل في يده وقال لهما هذه الكمات السحرية:

«أيتها العصا المتينة! أيها الحبل القوي!

خذاني في الحال إلى الطرف الآخر،

فإنهما يأخذانه توّاً إلى الجانب الآخر من المحيط».

ولاحظ كذلك طائراً في قفص يتدلى في أحد أركان الحجرة، فسأل عنه. ردت عليه «الراكشاساس» العجوز: «إنه يحتوي على سر يا طفلي، ما ينبغي أن يُكشف لإنسانٍ فانٍ، ومع هذا فكيف يمكنني أن أخفيه عنك يا حفيدي؟ ذلك الطائر يا طفلي فيه حياة أمك.

إذا قُتل الطائر فستموت أمك على الفور».

Twitter: @ketab_n

متسلّحاً بهذين السّرين، أوى الولد إلى النوم في تلك الليلة.

وفي الصباح الباكر ذهبت «الراكشاساس» العجوز مع الآخرين جميعاً إلى بلدان بعيدة التماساً للطعام. فأخذ الولد القفص المعلق في السقف، وأخذ العصا والحبل. ولما أمِن من الطير، خاطب العصا والحبل هكذا:

أيتها العصاة المتينة! أيها الحبل القوي!

خذاني في الحال إلى الطرف الآخر.

وفي لمح البصر وجد نفسه في الجانب الآخر من المحيط. عندئذ رجع إلى الملكة وأعطاها، وهي ذاهلة، البطيخة ذات الاثني عشر ذراعاً والنواة ذات الثلاثة عشر ذراعاً، أما الطائر الذي في القفص فقد أخفاه عنها بحرص شديد.

وبمرور الوقت، جاء أهل المدينة إلى الملك وقالوا: «من الواضح أن طائراً هائلاً يخرج من القصر كل مساء، ثم يقبض على المارَّة في الشوارع ويلتهمهم. وقد تواصل هذا الأمر منذ أمدٍ طويل حتى خلت المدينة تقريباً من سكانها».

لم يستطع الملك أن يعرف شيئاً عن هذا الطائر. أجاب الولد،

Twitter: @ketab_n

خادم الملك، أنه يعرف ذلك الطائر الخرافي، وأنه سيقتله بشرط أن تكون الملكة واقفة إلى جانب الملك. أمر الملك أن تقف الملكة إلى جانبه. عندئذٍ أخرج الولد الطائر من القفص الذي جلبه من الطرف الآخر من المحيط، وما إن رأته الملكة حتى أغمي عليها. التفت الولد إلى الملك، وقال: «يا مولاي، ستعرف الآن من هو ذلك الطائر الخرافي الذي يلتهم مواطنيك كل مساء. فحين أمزّق كلَّ عضوٍ من هذا الطائر، فإن العضو المقابل لآكل البشر سيسقط أيضاً».

فصل الولد عندئذ إحدى قائمتي الطائر، ولدهشة الحاضرين أجمعين انفصلت على الفور واحدةٌ من رجلي الملكة. وعندما عصر الولد رقبة الطائر خرجت روح الملكة من جسدها. بعد ذلك، حكى الولد قصة أمه هي وأمهاته الأخريات. ثم أحضرت الملكات السبع إلى القصر واستعدن بمعجزة أعينهن واعترف الملك بالولد الذي أرضعته الأمهات السبع وريثه الشرعي للعرش. وعاشوا معاً في سعادة.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة،

لماذا ذويتِ، يا شجرة زعرور «ناتيا»؟... إلخ

Twitter: @ketab_n

حكاية الأمير «سوبور»

عاش في قديم الزمان أحد التجار وكان له سبع بنات. سأل التاجر بناته ذات يوم السؤال التالي: «من حظّ من تكسبن معيشتكن؟». فأجابت الكبرى: «أبتاه، أنا أكسب معيشتي بفضل حظك أنت».

وتكررت الإجابة ذاتها من قِبَل البنت الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة. أما السابعة وهي الصغرى فقالت: «أنا أكسب معيشتي بفضل حظي أنا».

غضب التاجر غضباً شديداً من ابنته الصغرى، وقال لها: «ما دمت جدّ جاحدة إذ قلت أنك تكسبين معيشتك بفضل حظك أنت، فأريد أن أرى ما الذي ستفعلينه بمفردك. عليك أن تغادري منزلي فوراً من دون أن تكون معك بيسةٌ واحدة في جيبك».

وفي الحال دعا بعض خدمه وأمرهم بأن يأخذوا ابنته ويتركوها في الغابة. توسلت البنت بإلحاح أن يسمحوا لها بأن

Twitter: @ketab_n

تأخذ معها صندوق شغلها الذي يحتوي على إبرةٍ وخيوط، فسُمح لها بذلك. عندئذ صعدت إلى المحفَّة وحملها الحمالون على أكتافهم ومضوا. لم يقطع الحمالون سوى عددٍ من الياردات على صوت «هون! هون! هون! هون!» حتى صاحت بهم امرأة عجوز آمرةً إياهم أن يتوقفوا.

اقتربت منهم ونظرت إلى المحفَّة، وقالت: «إلى أين تأخذون ابنتي؟».

لقد كانت تلك المرأة هي مربية البنت الصغرى للتاجر. فردَّ الحمالون: «أمرنا التاجر أن نأخذها إلى وسط الغابة ونتركها هناك ونحن ننفذ أمره».

«لابد من أن أذهب معها، إذن».

«وكيف يمكنك أن تلحقي بنا لأننا بحاجةٍ إلى أن نسرع في خطونا؟».

«لابد من أن أذهب مع ابنتي بأي حالٍ من الأحوال».

الخلاصة أن توسلات الفتاة قد آلت إلى أن تحمل العجوز معها في المحفَّة. وفي الظهيرة، وصل الحمالون إلى غابةٍ كثيفة. دخلوا

Twitter: @ketab_n

إليها وتوغلوا بداخلها، وعند الغسق وضعوا الفتاة والعجوز تحت شجرة ضخمة وعادوا من حيث أتوا.

كانت حال ابنة التاجر الصغرى تدعو حقّاً للرثاء. لم تكن أكملت عامها الرابع عشر، وكانت قد نشأت في النعيم، وها هي الآن هنا عند غروب الشمس في قلب غابة كثيفة مترامية الأطراف، لا تملك فلساً واحداً، ولا حامي لها سوى تلك المرأة العجوز الواهنة، إلى حدّ أن أشجار الغابة في تلك البقعة ذاتها قد نظرت إليها بإشفاق. وامتزجت دموع الشجرة الباسقة التي وضعت تحتها بدموع العجوز وهي تقول لها (ذلك لأن أشجار ذلك الزمان كانت تتكلم): «يا للفتاة التعيسة! كم أشعر بالاشفاق عليك! عما قريب ستخرج الحيوانات المتوحشة من أوكارها وتشرع في التجوال باحثة عن فرائسها، ولسوف تلتهمك بالتأكيد أنتِ ورفيقتك. لكني أستطيع مساعدتكما؛ سوف أفتح لكما فتحةً في جذعي، وعندما تريان الفجوة ادخلا فيها، وسوف أقوم بغلقها وستكونان بأمانٍ في الداخل. ولن تستطيع الحيوانات أن تلمسكما».

وفي الحال انشق الجذع إلى نصفين، فدخلت ابنة التاجر والعجوز في الفتحة واستعادت الشجرة شكلها الأول. ولما حلّ

Twitter: @ketab_n

الظلام، خرجت الحيوانات من مخابئها. كان النمر المفترس هناك والدب الشرس ووحيد القرن ذو الجلد الغليظ والدب الأشعث كان هناك، والفيل العفن، والجواميس المقرنة، كلّ هذه الحيوانات وغيرها كانت هناك. وأخذت كلها تحوم حول الشجرة وتصدر أصواتها المرعبة لأنها قد شمَّت رائحة الدم البشري.

سمعت ابنة التاجر والعجوز دمدمة الحيوانات وهما في الداخل. أخذت الحيوانات تخبط أجسامها بالشجرة، ويتسلقها بعضها فتكسرت بعض فروعها، كما كانت الحيوانات تغرز قرونها في جذعها، وتخمش بأظافرها لحاءها، لكن ذلك كله لم يُجدها شيئاً. فقد بقيت ابنة التاجر ومربيتها في أمان.

وعند الفجر تفرقت الحيوانات. ولما طلعت الشمس، قالت الشجرة الطيبة لساكنتيها من البشر: «أيتها البشريّتان، لقد ذهبت الحيوانات إلى أوكارها بعد أن آذتني أذىً شديداً. لقد أشرقت الشمس وتستطيعان الآن أن تخرجا».

قالت الشجرة هذا وانفلقت، فخرجت ابنة التاجر والعجوز. وأبصرتا ما أحدثته الحيوانات من عبث بالشجرة وما جاورها. كانت الكثير من فروعها قد تكسَّرت، وكان الجذع قد طُعن في أكثر من موضع وتقشَّر اللحاء وخدش في مواضع عدة. قالت ابنة

Twitter: @ketab_n

التاجر للشجرة: «أيتها الأم الطيبة. لقد كان عطفاً منك أن منحتنا المأوى وتعرضت لكل هذا الأذى ولابدّ من أنك تتوجعين كثيراً بسبب ما أصابك من الحيوانات الشرسة ليلة الأمس».

قالت الفتاة ذلك وذهبت إلى البركة القريبة من الشجرة وأحضرت منها كمية من الطين وأخذت تضمّد بها جراح اللحاء والندوب التي أحدثتها القرون. بعد أن فعلت ذلك، قالت لها الشجرة: «شكراً لك يا ابنتي. لقد شفيت الآن تماماً من آلامي. ولكني قلقة عليكما أكثر مما أنا قلقة على نفسي. لابدّ من أنكما جائعتان إذ لم تأكلا شيئاً منذ الأمس. وما الذي أستطيع أن أقدمه لكما؟ ليس لدي ثمرة تخصني لأمنحكما. أعطِ العجوز أيَّ مالٍ تحملينه ولتذهب إلى المدينة القريبة وتشتري بعض الطعام».

قالتا إن ليس لديهما أي نقود. ولما كانت الفتاة تفتش صندوقها وجدت خمس صدف تستخدم كنقود. طلبت الشجرة حينها من العجوز أن تذهب إلى المدينة وتشتري قليلاً من العصيدة. ذهبت العجوز إلى المدينة وقالت للحلواني: «أعطني لو سمحت بخمس صدف قليلاً من العصيدة».

ضحك الحلواني وقال: «امشي من هنا أيتها الجنية العجوز. هل تظنين أنك بخمس صدفات تستطيعين أن تشتري العصيدة؟».

Twitter: @ketab_n

حاولت في دكان آخر، وظن صاحب الدكان أن المرأة لابدّ من أن تكون في حالة يائسة، فأشفق عليها وأعطاها كمية كبيرة من العصيدة مقابل الصدفات الخمس.

حين عادت العجوز ومعها العصيدة، قالت الشجرة لابنة التاجر: «فلتأكل كلٌّ واحدةٍ منكما قليلاً منها. ثم احتفظا بما يزيد على النصف، وانثرا الباقي على حواف البركة كلها».

فعلتا كما أمرتهما الشجرة، مع أنهما لم تدريا سبب بعثرة العصيدة على حواف البركة. قضتا اليوم تتحسران وتندبان حظهما. وفي الليل دخلتا إلى جذع الشجرة كما فعلتا في الليلة البارحة. أقبلت الحيوانات المفترسة كما فعلت من قبل. وراحت تؤلم الشجرة وتعذبها كالليلة السابقة. وفي أثناء الليل حدث مشهد عجيب على حواف البركة حيث رأت المرأتان النتيجة في صباح اليوم التالي.

أقبلت إلى البركة مئات من طيور الطاووس ذات الريش الباذخ لتلتقط عصيدة الأرز التي نثرتها الفتاة والعجوز، وفي حين كانت تكابد للحصول على حبات الرز سقط الكثير من ريشها على الأرض. وفي الصباح الباكر، أمرت الشجرة المرأتين أن تجمعا الريش معاً، ومنه صنعت ابنة التاجر مروحة جميلة.

Twitter: @ketab_n

أخذت المروحة إلى المدينة ومنها إلى القصر، حيث أعجب بها ابن الملك أشد الإعجاب ودفع لقاءها مالاً كثيراً.

وفي كلّ صباح، كان يُجمع الكثير من الريش، وفي كلّ يوم كانت تصنع مروحةٌ واحدة وتباع. ولم يمض وقتٌ طويل حتى صارت المرأتان ثريتين. عندئذٍ نصحتهما الشجرة أن تشغّلا رجلاً ليبني لهما بيتاً تسكنان فيه، فأُحرق الطوب، وقُطعت الأشجار لعوارض السقف وروافده وجُهزت التجهيزات الأخرى، وخلال أشهر بنيت دار فخمة أشبه بالقصر من أجل ابنة التاجر ومربيتها العجوز. واعتقدتا أن من الأفضل أن تمهَّد الأرض المحيطة بالدار وتجعل حديقة، وأن تُحفر بركةٌ لتوفير الماء.

في هذه الأثناء كانت آلهة الثروة قد قطّبت في وجه التاجر وزوجته وبناته الست. إذ بضربة واحدة عاثرة فقد التاجر كل نقوده، وبيع منزله وأملاكه، واستحال هو وزوجته وبناته إلى معوزين معدمين لا يملكون شيئاً في هذه الدنيا. وحدث أن عاشوا في قرية قريبة من المكان الذي بنت فيه امرأتان غريبتان قصراً وكانتا تحفران بركة.

Twitter: @ketab_n

ولما بات التاجر الذي كان ثرياً يكسب رزقه مما يحصل عليه من أجر عمله اليومي، فقد خطر بباله أن يجد له عملاً في حفر البركة عند المرأتين الغريبتين عند في أطراف الغابة.

قالت زوجته إنها هي أيضاً ستذهب معه للحفر. وهكذا، وإذ كانت السيدة الغريبة تتفرَّج من نافذة قصرها على العمال الذين يحفرون بركتها، دُهشت إلى أبعد حدّ حين رأت أباها وأمها قادمين نحو القصر بحثاً عن عمل. فانهمرت الدموع من عينيها وهي تنظر إليهما لأنهما كانا يرتديان الأسمال. أرسلت الخدم في الحال لإحضارهما إلى داخل المنزل.

خاف الرجل والمرأة البائسان خوفاً شديداً. لقد وجدا أن البركة صارت جاهزة، ولما كانت العادة في تلك الأيام أن يُقدَّم قربانٌ بشري عند انتهاء الحفر، فقد ظنا أنهما دُعيا إلى الداخل لهذا الغرض. وقد تضاعف خوفهما عندما طُلب منهما أن ينزعا ثيابهما المهلهلة وأن يرتديا ملابس جديدة أعطيت لهما.

لكن سيدة القصر الغريبة بددت مخاوفهما، لأنها أخبرتهما أنها ابنتهما وعانقتهما باكية. حكت الابنة الثرية قصتها ومغامراتها، فأدرك الأب أنها كانت على صواب حين قالت إنها تكسب عيشها بحظها هي وليس بحظ أبيها. منحت أباها قدراً كبيراً من

Twitter: @ketab_n

المال مكّنه من الذهاب إلى المدينة التي عاش فيها من قبل، والبدء في تكوين نفسه كتاجر مرةً ثانية.

رأى التاجر الآن أن يذهب بسفينته إلى بلدان بعيدة لأغراض تجارية. وكان كل شيء مهيئاً. صعد إلى ظهر السفينة لكي ينطلق، غير أنه من الغريب أن حدث ما حدث: لم تتحرك السفينة. فتحيَّر التاجر ولم يدر ما يفعل إزاء هذا. وأخيراً تذكر أنه سأل بناته الست اللاتي كن يعشن معه كلاً على حدة، ما الشيء الذي ترغب في أن يحضره لها، لكنه لم يسأل السؤال نفسه ابنته السابعة التي جعلته ثريّاً. فأرسل في الحال رسولاً إلى صغرى بناته يسألها ماذا ترغب أن يجلب لها معه حين يعود من رحلته التجارية.

عندما وصل الرسول، كانت هي مشغولة في أداء شعائرها. ولما سمعت أن رسولاً وصل من طرف أبيها، قالت له: «سوبور»[1] أي «انتظر».

ظن الرسول أنها تريد من أبيها أن يأتي لها بشيءٍ اسمه «سوبور». فعاد إلى التاجر وأخبره أنها تريد منه أن يحضر لها «سوبور». تحركت السفينة عندئذ من ذات نفسها. وبدأ التاجر رحلاته. توقف في موانئ كثيرة وكسب ثروات طائلة من بيع

(1) هل يمكن أن يكون أصل الكلمة عربيًا أي «صبراً»؟ (م).

Twitter: @ketab_n

بضائعه. وقد وجد الأشياء التي طلبتها بناته الست بسهولة ويسر، أما «سوبور» الشيء الذي فهم أن ابنته السابعة قد طلبته فلم يستطع الحصول عليه في أي مكان. سأل في الموانئ، لكن التجار كلهم أخبروه أنهم لم يسمعوا بشيءٍ كهذا في عالم التجارة. وفي آخر مرفأ راح يتجوَّل في الشوارع صائحاً: «المطلوب سوبور؛ المطلوب سوبور!»

جذبت النداءات ابن ملك تلك البلاد الذي كان اسمه «سوبور». سمع الأمير من التاجر أن ابنته طلبت «سوبور»، فقال إن لديه ذلك الشيء المطلوب، وأحضر صندوقاً خشبياً صغيراً فيه مروحة سحرية وعليها مرآة، وقال: «هذا هو سوبور الذي أرادته ابنتك».

حصل التاجر على بغيته التي طالما ظل يبحث عنها، وفك مرساة السفينة وأبحر عائداً إلى موطنه. وعند وصوله أرسل إلى ابنته الصغرى الصندوق البديع. ظنت الفتاة أنه صندوق عادي، فوضعته جانباً. وبعد أيام، وهي لا تدري ما تفعل رأت أن تسلِّي نفسها بفتح الصندوق الذي جلبه لها أبوها. عندما فتحته رأت فيه مروحة جميلة، وفي المروحة مرآة. هزَّت المروحة، فظهر في الحال الأمير «سوبور» أمامها، وقال: «أنتِ ناديتني، فهآنذا هنا.

Twitter: @ketab_n

ما الذي تتمنينه؟».

دهشت ابنة التاجر من هذا الظهور المباغت لأمير بهذه الوسامة الرائعة، فسألته من هو، وكيف ظهر هنا. أخبرها الأمير بالظروف التي جعلته يعطي الصندوق لأبيها، ثم أخبرها بالسر الذي يجعله يظهر كلما هُزَّت المروحة. بقي الأمير يومين في منزل ابنة التاجر التي ضيفته وأحسنت إكرامه.

خلاصة الأمر أنهما وقعا في حب أحدهما الآخر وأقسما أن يصيرا زوجين. عاد الأمير إلى قصر أبيه وأخبره أنه اختار لنفسه زوجة، وحُدِّد يوم الزفاف. دعي التاجر وزوجته وبناته الست. عقد رباط الزواج، لكن مأساة حدثت في سرير الزواج. فقد حسدت بنات التاجر الست أختهنَّ الصغرى لما نالته من حظ سعيد، وعزمن على أن يضعن حداً لحياة زوجها الجديد. كسرن عدة زجاجات وأحلن قطع الزجاج إلى مسحوق دقيق ثم نثرنه بكثافة على السرير. لم يشك الأمير في وجود أي خطر، فاضطجع على السرير، لكنه سرعان ما شعر بألم حاد في جسمه كله لأن مسحوق الزجاج تسرَّب من مسام جلده. ولما صار لا يستقر ولا يهدأ بسبب الألم وأخذ يرتعش ويتوجع بصوتٍ عال، أخذه خدمه وحراسه بسرعة إلى موطنه.

Twitter: @ketab_n

استشار الملك والملكة، والدا الأمير «سوبور»، كل الأطباء وجراحي المملكة دون جدوى. كان الأمير الشاب يصرخ نهاراً وليلاً من شدة الألم، ولم يستطع أحدٌ تحديد نوع المرض فضلاً عن شفائه. يمكن تصوُّر مقدار حزن ابنة التاجر. لم يكد رباط الزواج يُعقد حتى هُوجم زوجها -كما ظنت- بواسطة مرضٍ خطير حمله بعيداً عنها مئات الأميال.

ومع أنها لم تكن قد عرفت بلاد زوجها، فقد قررت أن تلحق به لكي تعتني به. ارتدت زي ناسك، وتسلحت بخنجر وارتحلت. وبسبب السنوات التي قضتها في الرفاه، وعدم اعتيادها على السير طويلاً راجلة، سرعان ما شعرت بالتعب وجلست تستريح تحت شجرة. وعلى قمة تلك الشجرة، كان يوجد عشٌّ الطائرين المقدسين «بهانجاما» و«بهانجامي». لم يكونا في عشهما في ذلك الحين، لكن اثنين من ابنائهما كانا في العش.

صرخ الطائران فجأة صرخة أيقظت ابنة التاجر المنهكة التي سنسميها منذ الآن «الناسك الشابة». رأى هذا الناسك حوله أفعى ضخمة ترفع رأسها وتفرد قلنسوتها وتوشك أن تتسلق الشجرة. وفي الحال قطع الأفعى إلى جزئين منفصلين، فهدأ

Twitter: @ketab_n

صراخ الطائرين. ووصل الطائران «بيهانجاما» «وبيهانجامي» بعد وقت قصير يحلقان في السماء؛ فقالت الأخيرة للأول: «أنا أظن أن طائرينا الصغيرين قد التهما كالمعتاد بواسطة عدونا اللدود: الأفعى. ها أنذا لا أسمع صراخهما».

وعندما اقتربا من العش، دهشا إذ وجدا صغيريهما حيَّين. أخبر الطائران الصغيران أبويهما كيف قتل الناسك الشاب، الذي تحت الشجرة، الأفعى. وحقّاً كانت الأفعى ترقد ميتة هناك وقد قُطعت نصفين.

عندئذ قالت «بيهانجامي» لشريكها: «لقد أنقذ الناسك الشاب ولدينا من الموت. أتمنى أن نستطيع أن نقدم له خدمة في مقابل خدمته». رد «بيهانجاما»: «سوف نقدم لها على الفور خدمة لأن الشخص الراقد تحت الشجرة ليس رجلاً بل هي امرأة. لقد تزوجت بالأمس فقط إلى الأمير سوبور الذي، بعد ساعات فقط من ذهابه إلى السرير، دخلت من كل جزء من مسام جلده موادٌّ دقيقة من الزجاج المطحون الذي نُشر في سريره بواسطة أخوات زوجته الحسودات. وهو لا يزال يعاني في موطنه. وقد بات حقاً على وشك الموت. وعروسته البطلة المرتدية ثياب الناسك ذاهبة لتمريضه».

Twitter: @ketab_n

سألت «بيهانجامي»: «لكن ألا يوجد علاج للأمير؟».

«بلى، يوجد. لو أن روثنا الملقى على الأرض هنا وهناك، والذي صار صلباً، أُخذ وسحق حتى يصير طحيناً، ثم وضع على جسده بواسطة فرشاة بعد الاستحمام سبع مرات مع سبعة دوارق ماء، وسبعة دوارق حليب، فإن الأمير سيشفى من دون ريب».

«لكن، كيف يمكن لابنة التاجر المسكينة أن تقطع كل تلك المسافة الهائلة راجلة؟ لابدّ من أن ذلك قد يستغرق أياماً طويلة يكون الأمير المسكين حينها قد مات».

«سأحمل الفتاة على ظهري إلى مدينة الأمير وأعيدها شريطة ألاّ تأخذ معها أي هدايا من هناك».

سمعت ابنة التاجر التي في ثياب الناسك، الحديث بين الطائرين، وتضرَّعت إلى «بيهانجامي» أن تأخذها على ظهرها، فوافقت. وقبل أن تصعد إلى عربتها الفضائية جمعت كمية من روث الطيور الصلب وسحقته جيداً وركبت على ظهر الطائر العطوف، محلقةً في الفضاء بسرعة البرق، وسرعان ما وصلت إلى العاصمة التي يقيم فيها الأمير «سوبور».

Twitter: @ketab_n

ذهب الناسك الشاب إلى بوابة القصر، وأرسل يخبر الملك بأنه يعرف علاجاً فعالاً يشفي الأمير في ساعاتٍ قليلة. نظر الملك، الذي كان قد جرَّب أفضل أطباء المملكة بلا جدوى، إلى الناسك دون حماس، لكنه سمح له أن يجرب امتثالاً لنصيحة مستشاريه.

أمر الناسك بإحضار سبعة دوارق من الماء وسبعةٍ من الحليب، سكب محتوى الدوارق كلها على جسد الأمير. وبعد ذلك أخذ يضع على جسمه المسحوق مستخدماً ريشةً حتى غطى كل مسام جلده. ثم صُبَّت مرة ثانية سبعة دوارق من الماء وسبعة دوارق من الحليب وهكذا تكرر الأمر سبع مرات. ولما نُظِّف جسد الأمير شعر بالشفاء التام.

أمر الملك أن تعطى أعظم كنوزه هدية لهذا الطبيب الرائع، لكن الناسك رفض أن يأخذ أي شيء. وطلب فقط أن يحصل على خاتم من إصبع الأمير ليحتفظ به كذكرى. أعطى الأمير الخاتم عن طيب خاطر.

أسرعت ابنة التاجر عائدة إلى شاطئ البحر حيث كانت تنتظرها «بيهانجامي» وفي لحظة وصلا إلى شجرة الطيور المقدسة. ومن هناك مشت البنت إلى بيتها الذي في طرف الغابة. وفي اليوم التالي، لوحت بالمروحة السحرية فظهر الأمير سوبور أمامها.

Twitter: @ketab_n

وحين أرته الفتاة الخاتم، كانت دهشته بلا حدود، إذ عرف أن زوجته نفسها كانت هي الطبيب الذي شفاه. اصطحب الأمير زوجته معه إلى قصره في المملكة النائية، وغفر لأخواتها، وعاشوا جميعاً عشرات السنين سعداء مباركين بالأطفال والأحفاد، وأحفاد الأحفاد.

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة... إلخ

Twitter: @ketab_n

أصل الخشخاش

عاش في قديم الزمان، على ضفة نهر الجانج المقدس أحد الريشيين[1]، وكان يقضي أيامه ولياليه في ممارسة الشعائر الدينية والتعبّد للرب. كان يجلس منذ شروق الشمس إلى غروبها على ضفة النهر منغمساً خاشعاً في التأمل، وفي الليل كان يأوي إلى كوخ من سعف النخيل أقامه بيديه في أحد الأحراش القريبة.

لم يكن هناك بشر على مدى أميال من حوله. أمّا في الكوخ، فكان ثمة فأر يعيش على فتات عشاء الريشي. ولما كانت طبيعة الريشي ألاّ يؤذي أيَّ كائن حي، فإن فأرنا لم يكن يهرب منه، بل على العكس من ذلك كان يذهب إليه ويلمس قدميه ويلعب معه. أما الريشي فكان من ناحية يشفق على ذلك الحيوان الصغير، ومن ناحية أخرى يشعر بالحاجة إلى من يتحدث إليه في بعض الأحيان، ولذا فقد منح الفأر القدرة على الكلام.

وفي إحدى الليالي كان الفأر يقف على قائمتيه الخلفيتين

(1) Rishi الحكيم الروحاني (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

ضامّاً قائمتيه الأماميتين باحترام، قال للريشي: «أيها الحكيم المبجَّل، لقد كنت عطوفاً جداً إذ منحتني القدرة على الكلام كالبشر. إذا لم يزعجك هذا، فإنني أرجو أن تمنحني هبة واحدة أخرى».

«ما هي؟ ما هي أيها الفأر الصغير؟ قل ما تريد». ردَّ الفأر: «عندما تذهب في النهار إلى ضفة النهر للتأمل والعبادة، يجيء قط يريد أن يمسك بي، ولولا أنه يقدِّرك لكان قد أكلني منذ زمن طويل. وأنا أخشى أنه سيأكلني ذات يوم. وأتمنى لو أتحوَّل إلى قط وبذلك أستطيع أن أقف ندّاً لخصمي».

تعاطف الريشي مع الفأر، فَرَشَّ قليلاً من الماء المقدس على جسمه، فتحوَّل على الفور إلى قط.

وبعد بضع ليالٍ، سأل الريشي حيوانه الأليف: «حسناً أيها الهرّ، كيف تجد حياتك الحالية؟».

«لا تعجبني كثيراً أيها الحكيم المبجل».

«ولِمَ لا؟ ألست قوياً بما يكفي لتتصدى لكل أنواع القطط في العالم؟».

«نعم، لقد جعلتني فضيلتك قطاً قوياً قادراً على التعامل مع كل القطط في العالم. لكني لا أخشى القطط الآن. لقد صار لي

Twitter: @ketab_n

خصمٌ آخر. وعندما تذهب، فضيلتك، إلى جانب النهر، تجيء مجموعة من الكلاب إلى الكوخ، ثم تطلق نباحاً عالياً يرعبني وأخاف معه على حياتي. إذا لم أزعج، سماحتك، وأثير غضبك عليَّ، فإني أتوسل إليك أن تحيلني إلى كلب».

قال الريشي: «فلتكن كلباً»، وصار القط في الحال كلباً.

مرَّت بضعة أيام، وذات ليلة قال الكلب للريشي: «أنا لا أستطيع أن أشكر فضيلتك على عطفك معي. لم أكن سوى فأر حقير، وأنت لم تمنحني القدرة على الكلام فحسب، بل جعلتني قطاً، ثم أكرمتني ثانية وجعلتني كلباً. لكني ككلبٍ أعاني الكثير من المتاعب، فأنا لا أحصل على طعام كافٍ. إن طعامي ليس سوى فتات عشائك، وهو لا يكفي لملء جوف حيوان كبير كما جعلتني. أوه، كم أغبط تلك القردة اللاتي تتقافز من شجرة إلى شجرة وتأكل كل أصناف الفواكه! لو أن فضيلتك لن تغضب من طلبي، فإني أرجوك أن تحوِّلني إلى قرد».

استجاب الناسك الطيب لأمنية حيوانه المدلل وصار الكلب قرداً.

كان قردنا في البداية يتنطَّط من الفرحة، ويقفز من شجرة إلى شجرة ويمتص كل ثمرة لذيذة بتلذذ بالغ. بيد أن فرحته لم تدم طويلاً، فقد حل الصيف بجفافه. وقد وجد القرد صعوبة في أن

Twitter: @ketab_n

يشرب من ماء النهر أو البركة، في حين رأى الخنازير البرية تسرح وتمرح في المياه طوال اليوم. حسدها على ما هي فيه، وصاح: «أوه، ما أسعد هذه الخنازير! أجسادها طوال اليوم تبرد في الماء وتجدد نشاطها. يا ليتني كنت خنزيراً!».

وفي المساء، أعاد على الريشي قصة متاعب حياة القرد وسعادة الخنزير البري، ثم ترجاه أن يجعله خنزيراً بريّاً. استجاب الريشي، الذي لم يكن ثمة حدٌّ لعطفه، فأحال حيوانه إلى خنزير بري. وعلى مدى يومين كاملين ظل خنزيرنا ينقع بدنه في الماء، وفي اليوم الثالث، وهو يطرطش بالماء على أعضائه المحببة، من تراه رأى غير ملك يركب فيلاً ضخماً وقد زُين في أبهى حلة. كان الملك خارجاً في رحلة صيد، وبالحظ وحده تمكن خنزيرنا من الفرار بجلده. وأدرك يحنئذ طبيعة المخاطر التي تترصَّد خنزيراً بريّاً، وحسد الفيل على ما يتمتع به من مكانة كريمة، يا لحظه السعيد وهو يحمل ملك البلاد على ظهره! وتمنى أن يصير فيلاً، وفي الليل توسل للريشي أن يحيله إلى فيل.

كان فيلنا يتجوَّل في البرية فأبصر الملك يصطاد، فمضى نحو حاشية الملك آملاً أن يمسكوا به. رأى الملك الفيل آتياً فأعجب بجماله وأمر بأن يُقبض عليه ويُروَّض. اصطيد فيلنا بيسر وأخذ إلى الاصطبل الملكي وسرعان ما رُوِّض وصار فيلاً أليفاً. وحدث

Twitter: @ketab_n

أن رغبت الملكة أن تستحم في مياه الجانج المقدسة. فأمر الملك الذي أراد بدوره أن يرافق زوجته، أن يُحضر الفيل الذي اصطيد حديثاً إليه. وصعد الملك والملكة على ظهره.

سيفترض المرء الآن أن الفيل قد نال كل أمانيه ما دام الملك والملكة راكبين على ظهره. لكن الأمر لم يكن كذلك، إذ في المِرهَم ذبابة. نظر الفيل إلى نفسه كحيوان جليل، ولم يستطع أن يقبل فكرة أن تركب على ظهره امرأة حتى لو كانت الملكة ذاتها. ظن في نفسه أنه قد أُهين وحُطَّ من شأنه. فقفز قفزة عنيفة مفاجئة فوقع الملك والملكة على الأرض. رفع الملكُ الملكة بحرصٍ وأخذها بين ذراعيه، وسألها إن كانت قد أصيبت كثيراً، ونفض الغبار عن ملابسها بمنديله، وقبَّلها بحنان مئة مرة.

لما رأى فيلنا رقة الملك وتلطُّفه مع الملكة، انطلق يعدو إلى الغابة بأسرع ما يمكن أن تسعفه أقدامه. وهو يجري فكَّر في نفسه وقال: «مهما يكن، فقد رأيت أن الملكة هي أسعد المخلوقات كلها. ما الذي جعلها تتمتع باحترام لا حدود له! رفعها الملك، وحملها بين ذراعيه، وسأل بقلق عن حالها، ونفض الغبار عن ملابسها بيديه الملكيتين، وقبَّلها مئة مرة! أوه، يا لسعادة من تكون ملكة! لابدّ من أن أُحدِّث الريشي بهذا وأطلب منه أن يُصيِّرني ملكة!».

Twitter: @ketab_n

وبعد أن اجتاز الفيل الغابة، وعاد عند غروب الشمس إلى كوخ الريشي، جثم ساجداً عند قدمي الحكيم المقدس. قال الريشي: «حسن، ما هي أخبارك؟ لماذا تركت مزرعة الملك؟». فقال: «ماذا عساني أقول لفضيلتك؟ لقد كنت في منتهى العطف معي. لقد حققت لي كل أمنية. وبقيت لي أمنية واحدة فقط. إنها الأخيرة. لما صرت فيلاً، كلما نلته هو أن تضخَّم جسمي وكبر حجمي، أما سعادتي فلا. لقد وجدت أن الملكة هي من بين كل المخلوقات الأسعد في العالم أجمع. اجعلني، أيها الأب المقدس، اجعلني ملكة».

«أيها الطفل المغفل الساذج، كيف يمكنني أن أجعلك ملكة؟ من أين لي مملكة لأهبك إياها، وزوج ملكي لأهبك إياه؟ كل ما أستطيع أن أفعله هو أن أجعلك فتاة تتمتع بجمال فتَّان، ولها جاذبية تمكنها من أن تأسر قلب أمير إن منَّت عليك الآلهة بأن تقابل أميراً عظيماً!».

وافق فيلنا على هذا التغيير؛ وفي لحظةٍ تحوَّل الحيوان الحصيف إلى فتاة جميلة، أسماها الحكيم المبجَّل «بوستوماني» أو السيدة نبتة الخشخاش. عاشت «بوستوماني» في كوخ الريشي، وكانت تقضي وقتها في سقي الأزهار والعناية بالنباتات.

وذات يوم كانت جالسة بباب الكوخ في أثناء غياب

Twitter: @ketab_n

الريشي، ورأت رجلاً يرتدي ملابس باذخة آتياً نحو الكوخ. وقفت وسألت الغريب من هو، ولماذا جاء. ردَّ الغريب أنه جاء ليصطاد في هذه المنطقة، وأنه كان يطارد غزالاً دون جدوى، وأنه شعر بالعطش، فجاء إلى كوخ الناسك ليحظى بشيءٍ من الطعام والشراب. قالت الفتاة: «أيها الغريب، اعتبر هذا الكوخ بيتك، وسأقوم بكل ما أستطيع فعله لإراحتك، إنه ليؤسفني أننا جدّ فقراء ولن نقدر على استضافة شخص بمثل منزلتك بطريقةٍ مناسبة، لأنني، إن لم أكن مخطئة، أحسبك ملك هذه البلاد».

تبسَّم الملك. وأحضرت «بوستوماني» وعاء ماء، وبدت وكأنها تريد أن تغسل قدمي ضيفها الملكي بيديها، فقال الملك: «أيها الفتاة الطاهرة، لا تلمسي قدميَّ، لأنني لست سوى محارب كشاتريا وأنت ابنة حكيم مبجَّل».

«يا سيدي النبيل، أنا لست ابنة الريشي، كما أني لست فتاة براهمانية، لذا فلا ضرر إن أنا لمست قدميك، فضلاً عن أنك ضيفي، وعليَّ أن أغسل قدميك». قال الملك: «اغفري لي وقاحتي. من أي طبقةٍ أنتِ؟».

«لقد سمعت من الحكيم أنَّ والديّ كانا محاربي كشاتريا».

Twitter: @ketab_n

«أيمكنني أن أسألك إن كان أبوك ملكاً لأن جمالك الاستثنائي وسلوكك النبيل يظهر أنك ولدت أميرة».

لم تجب «بوستوماني» عن السؤال، ودخلت إلى الكوخ، وأحضرت طبقاً فيه أشهى أنواع الفاكهة، ووضعته أمام الملك. لكن الملك لم يمس الفاكهة حتى تجيب الفتاة عن سؤاله، فاضطرت «بوستوماني» أن تجيب على النحو التالي: «قال الحكيم المبجَّل إن والدي كان ملكاً. ولما هُزم في المعركة، فإنه هو وأمي هربا إلى الغابات. وقد ألتهم نمرٌ أبي المسكين، في حين كانت أمي في ذلك الحين في سرير الولادة. فأغمضت عينيها في الوقت الذي فتحت أنا عيني. ومن الغريب أن أقول إنه كان يوجد قفير نحل على الشجرة التي كنت أرقد تحتها، فكانت قطرات العسل تسقط إلى فمي فبقيت على قيد الحياة حتى عثر عليَّ الريشي الطيب وأحضرني إلى كوخه. تلك هي حكاية الفتاة البائسة البسيطة التي تقف الآن أمام الملك».

«لا تقولي عن نفسك بائسة. إنك أجمل وألطف امرأة. وسوف تزينين القصر بجمالك الخارق».

الخلاصة أن الملك اقترن بالفتاة بعد أن ربط بينهما الريشي عقد الزواج. عوملت «توستوماني» بوصفها أحبَّ ملكة، وشعرت الملكة الأولى بالخزي والعار. مهما يكن، فإن سعادة «توستوماني» لم تدم طويلاً.

Twitter: @ketab_n

ففي أحد الأيام، وفيما كانت واقفة إلى جانب جدار، شعرت بالدوار وسقطت إلى الماء وماتت. عندئذٍ، ظهر الريشي أمام الملك، وقال: «أيها الملك، لا تأسَ على الماضي. فالملكة التي غرقت لم يكن يجري في عروقها الدم الملكي. لقد خُلقت فأرةً، ثم حوَّلتها أنا تدريجيّاً حسب طلبها إلى قطة، ثم إلى كلب، فقرد، فخنزير بري، ثم إلى فيل وأخيراً إلى فتاة جميلة. أما الآن وقد ماتت، فهلا عدت إلى ملكتك المحبوبة من جديد؟ أما عن ابنتي المزعومة فبإرادة الآلهة وفضلها سأجعل اسمها خالداً. دع جسدها يبقى في البئر، واردم البئر بالتراب. ومن جسدها وعظامها ستنمو نبتة ستدعى باسمها «بوستو»، أي «نبتة الخشاش». ومن هذه الشجرة سيُستخرج مخدِّر يسمى «الأفيون»، وسيُحتفى به عبر العصور بوصفه علاجاً قويّاً وسيكون مخدّراً رائعاً أبد الدهر. وسيكون مدخن الأفيون أو بالعه بواحدة من سمات كل حيوان تحوَّلت إليه «بوستوماني». فهو سيكون سيء السلوك كالفأر، وشغوفاً بالحليب كالقط، ومشاكساً كالكلب، وقذراً كالقرد ومتوحشا همجيّاً كالخنزير البري، وحاد الطباع مثل ملكة».

وهكذا انتهت حكايتي،

وذوت شجرة زعرور «ناتيا» الشائكة... إلخ

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

ISBN 978-9948-01-345-7
9 789948 013457